اللبناني الاول

شيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم

JH
956.92
K458L
c.1

JQ1
956.92
K45&L

جورج فرح

اللبناني الاول

المراحل المختلفة التي مرّ بها لبنان
منذ الاحتلال الفرنسي حتى تجديد
ولاية فخامته للمرة الثانية

من منشورات دار النشر السياسية للشرق الاوسط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مقدمة الكتاب

حسبي في هذه المقدمة الخاطفة الوجيزة ان لا اعدو فيها التذكير والتذكير فقط بما حقق من جلائل الاعمال واخطرها في مضمار النضال الاستقلالي على ايدي فخامة اللبناني الاول وفي عهده الميمون .

من المعروف ان السياسة الكيفية التي كانت تتبعها فرنسا في عهد انتدابها على هذه البلاد قضت في اواخر عام ١٩٣٩ بأن يعطل الدستور اللبناني مجدداً وان تساس البلاد من الوجهة المحلية الصرف من جهاز اداري مضطرب يستمد سلطانه مباشرة من المفوض السامي . وقد ظل الدستور حبيساً طوال سنوات اربع ولم يطلق من عقاله الا بنتيجة الجهود من سياسية وشعبية التي بذلها اللبناني الاول طوال الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ بالرغم من دقة الظروف وحراجتها من الوجهين الدولي والحربي . وقد افضت المساعي المتواصلة العنيدة التي تابعها فخامته سواء لدى المندوب الفرنسي العام حينذاك ام لدى وزير بريطانيا المقيم في القاهرة الى اقتناع سلطات الاحتلال بأن عدم الافراج عن الدستور

والاستمرار على ادارة البـــلاد عن طريق الحكم الاجنبي المباشر ميؤديان حتما الى اذكاء نار الاضطرابات ليس في لبنـان وسوريا فحسب ، وانما في كافة انحاء الشرق الاوسط . فكان لهذا الجهد الحكيم الخفي دوره الاول في عودة البلاد الى انتخابات عام ١٩٤٣ واخلاء سبيل الدستور وتكوين هيئة حاكمـة منبثقة رأساً عن الارادة الشعبية .

ثانياً — ان مـــا شاهدناه وما زلنا نلمس اثاره لمس اليد من تقويض لسياسة الاجنبي التفريقية ومن جمـع لكلمة وتوحيـــد للصفوف بين ابناء الوطن الواحد لم يتم ويتحقق الا بفضـل فطنة وبراعة الخطة التي اوحى بها الشيخ الرئيس . فبين عشية وضحاها انهارت احلام الاجنبي من صرحها ورجع لبنـــان وحدة متراصة متكاتفة معنى — ومادة مندفعة جادة صريحة في طريق الانعتاق والتحرر واستكمال شرائط الاستقلال والسيادة .

ثالثاً — ان الفضل في اطلاق لبنان من الالتزامات الاجنبية التي كانت تحول دون اظهاره سيداً في وطنه ، ان تنقية الدستور اللبناني وتطهيره من ادران السيطرة الدخيلة . ان مبدأ لا امتياز لدولة اجنبية في لبنان اقتصادياً كان ام ثقافياً ام سياسياً ان اخراج هذا البلد الصغير بسكانة وحجمه. الكبير بتاريخه وحضارته من الطوق الانكماشي الذي ارادته له التوجيهات الاستعمارية الى الافاق المترامية البعيدة ان خلق لبنـــان خلقاً استقلالياً كاملاً واطلاق العنان له لاثبات وجوده العربي ولتحويله محوراً للفعالية التحررية العربية ان احباط المشروعات الاستعمارية على اختلاف

الوانها وما فيها من اسباب الاغراء ، ان ارجاع لبنان الى صميم التعاون بين اجزاء المجموعة العربية وجعله العامل الاول في دفع هذا التعاون الى اقصى حدوده ان بلورة الاخوة اللبنانية العربية واتخاذها اساساً لشخصية لبنان في هذا الحقل وتحديد مداه الحيوي ضمن نطاق رمزه وغاياته — العمل المتواصل المتوالي لاعطاء لبنان نقطة الارتكاز ان هـــذه الوقائع التي يطلق عليها بحق وانصاف المآثر والجلائل تمت جميعها في عهد الحكومات التي تعاقبت التربع على زمام مقدرات الشعب اللبناني خلال ولاية الشيخ الرئيس .

ان اظهار شخصية لبنان الدولية وتوفير الاسباب المتباينـة للكشف عن مواهبه ومؤهلاته في هذه الغمرة الحماسة الجارفة من التنافس والصراع الامي . ان تنظيم اعمال التأديب ضد الصهاينة ودفع الدول العربية منفردة ومجتمعة وازالة ما كان بين بعضها من عوامل الجفـاء ومبررات التباعد ان القضاء على حلم صهيون والتدليل المادي بالسلاح والرجال والمـال على قوة واثر الوحدة الدولية للعالم العربي في تكييف وتوجيه مقدرات الشرق الاوسط. وختاماً نقول ان اعداد معركة انقاذ فلسطين والابقـاء على هذا القطر دولة عربية موحدة واحراق مطامع الصهيونية وما فيها من دوافع وعناصر استعمارية . ان هـذا الخطير الكبير من العمل الجبار ليس في سبيل لبنان فقط بل زوداً عن المصلحة الاستقلالية والقومية لكل بلد او جزء من هذه المجموعة التي يسمونها بالعرب قد تم وتبلور وتحقق على انصع وجوه التحقيق والبلورة في عهـد الشيخ الرئيس وبفضل توجيهاته وجهاده الوطني وحسبي كما قدمت

بهذا المقتضب الموجز فاتحة لهذه الرسالة واعتزازاً بالوعي اللبناني الذي ابى في اعادة تجديد ولاية فخامته الا ان يأتي برهاناً جديداً على وعي اللبناني ومدى عرفانه بالجميـل واستعداده للسير بكل اعتبار اقليمياً كان ام عامـاً في احقاق الحق واعلاء راية العدالة ووزن الامور في معيارها العملي الواقعي .

جورج فرح

اللبناني الاول

في المرحلة الاولى من نضاله السياسي .

لن نتحدث على ما الف بعض الكتاب والمؤرخين عن نشأة وتطورات حياة فخامة الشيخ بشاره الخوري من الناحية الخاصة مع انها والحمد لله حافلة ذاخرة بما يجعل المرء فخوراً معتزاً وبمـا يصح ان يتخذ منها قدوة لاساليب تنشيء وتكوين الرجال الذين هيئتهم العناية الالهية للكبير الخالد من الاعمال . وانما نكتفي بالوقوف قليلاً عند الخطوط الكبرى للمرحلة الاولى من نضاله في الحقلين السياسي والوطني تمهيداً للتبسط في عرض الفترة الثانية من تاريخه السياسي ، هذه الفترة التي استكمل فيهـا لبنـان استقلاله وحقق ماكان يجيش في خلجات صدور ابنائه من آمال وعواطف ساميـــة .

خاض اللبناني الاول المعمعان السياسي في ظروف كانت فيها السيطرة والكلمة الفعالة النافذة للاجنبي ومندوبيه في هده البلاد . ولنتصور ما هي صلابة الشخصية ومدى الكفاءة وقوة الايمـــان والاعتزاز بالنفس لمصارعة دسائس ومحركات السياسة الاستعمارية

ومقابلتها باعنف وجوه السلبية في كل مرة تلتقي فيهـــا المصلحة الوطنية العليا والانتهازية الاجنبية وجهاً لوجه .

نعم لقـد خاض فخامة الشيخ الرئيس المعمعان السياسي على اسس ثابتة واهداف صريحة ومبادىء استقلالية لا التواء فيهـــا ولا لبس . خاض المعركة وبلغ منها الصميم في وقت كان يساس فيه لبنان من جهاز اداري مائع يقوم على رأسه حاكم فرنسي بين عسكري ومدني يستمد سلطـــانه مباشرة وكان يسمى بالمفوض السامي لحكومة باريس فلم ينفك فخامته عاملاً مكافحاً مع نخبة طيبة صالحة من رفقائه في سبيل ايصال لبنان الى وضع سياسي يليق ببلد تفيض نفسه باسمى وارفع شعور الاباء والكرامة . وما زال الشيخ وصحبه موالين جهودهم ، ضاربين عرض الحائط بجميع المصالح الفردية والمطامع الخاصة الى ان مكنهم عنادهم واخلاصهم من حمل الاجنبي على اقامة نظام الحكم في لبنان طبقاً لمبادىء الحكم الجمهوري البرلماني الذي يستمد سلطانه ونفوذه من الغالبية الشعبية .

وفي الواقع فقـــد تم للبنان ان يصبح جمهورية ذات ندوة برلمانية عـام ١٩٢٤ نتيجة لهذه المساعي المخلصة التي بذلهـا فخامة الرئيس واعوانه حينذاك وقضي بذلك على الحكم المباشر وحقق هذا البلد الفتي الشهم البعض من مطاليبه الاستقلالية . فلو لم تفيض العناية لهذه البقعة المباركة فئة من امثال الرئيس وصحبه لكان من المحتمل ان يظل لبنان مساساً بطريقة الحكم الاجنبي المبـاشر اضعاف المدة التي رزح خلالها لهذا النوع من الادارة الاستعمارية .

الصراع الايجابي

منـذ انتقالنا الى هذه المرحلة الجديدة كان من البديهي ان يبدل فخامته - تكتيك - نضاله السياسي فانتقل بانتقالها من السلبية العنيدة المطلقة الى الايجابية المشروطة وما عتم ان انتخب نائباً عن جبل لبنان في اول ندوة برلمانية عرفتها هـذه الجمهورية الناشئة واستأنف من على منبر بيت الشعب (البرلمان) كفاحه ذوداً عن مصالح لبنان العليا ودفاعاً عن القضايا العامة فعرف فيه الاجنبي مناضلا صريحاً لا يحابي ويجامل في سبيل الحق ولا يساوم ويداور على حساب منافع بلاده فحباه ما يستحق الخصم الشريف من التقدير والاحترام ولكنه لم يترك طريقة من الطرق وذريعة من الذرائع الا واستخدمها لعرقلة واحباط مشروعات هـذا المؤمن بحق بلاده وهذا المعتد بنفسه الواثق من النتيجة . وبالرغم من كل ذلك فقد تقلب في عدد من المقاعد الوزارية والتمثيلية الى ان كان عـام ١٩٢٨ فعهد اليه المرحوم الرئيس الاستاذ شارل دباس بتشكيل الوزارة لاول مرة نزولا عند اجماع الاغلبية البرلمانية على الرغم من الامتعاض الذي ابداه المفوض السياسي حينذاك من رغبة البرلمـان في ايكال مقدارات البلاد التنفيذية لفخامة الشيخ بشاره الخوري .

وقد واصل في الحكم السير على ذات النهج الذي كان يلازمه وهو خارجه فكان يستوحي سياسته من حق لبنان في الحياة بظل حرية فعلية عاملاً على انتزاع ما يمكن انتزاعه من الصلاحيات التي كان يمارسها الاجنبي في ذاك الوقت مختصاً مختلف مرافق البلاد بما كانت تسمح به الظروف من مشاريع انشائية واصلاحية وقد كان ديدونه الوحيد وهمه الاول تحرير الدستور من النصوص والمواد التي كانت تقضي به ان يظل رهيناً لمشيئة ممثل فرنسا . فعز على الفرنسيين ان يزاحموا من وطني بهذا النحو من الصراحة والجرأة على سلطانهم المغتصب .

وما زالوا بدسائسهم ومؤامراتهم الى ان تم لهم اخراجه من الحكم . وقد ظلت العلاقات بينهم وبين المناضل الرئيس على هذا اللون من التشادد تارة بلين او رفق وطوراً بعنف وتعنيت الى ان اخفق الكونت ديمارتيل عام ١٩٣٢ في فرض وتنفيذ مشروعاته الاستعمارية عن طريق برلمان يستظل قبته امثال فخامة الشيخ والقلة الصالحة النيرة من اعوانه فلم يكن من المفوض السامي المذكور الى ان استعمل صلاحياته الدستورية وقضى بتعطيل الحكم النيابي في البلاد .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذه المناسبه هو ان الكونت ديمارتيل كان يستهدف من وراء سياسته حمل لبنان على ابرام معاهدة سياسية وعسكرية تكبل البلاد باعتراف ممثليها الشرعيين وحكومتها الوطنية وتضمن لفرنسا كافة مطامعها ورغائبها الاستقلالية الى المديد الطويل من الزمن . وبالرغم من تعطيل

البرلمان وحبس الدستور وتجريد فخامة الشيخ وامثاله من زملائه من اية حصانة وصفة رسمية فقد واصل كفاحه بمختلف وسائل الكفاح السياسي السلمي وكان يتزعم جميع الحركات التى كانت في ذاك الوقت تطالب باعادة الحكم النيابي وتحرير الدستور من النصوص التي تجعله طوعاً لمشيئة المفوض الفرنسي . وما لبثت هذه الحركة الناشطة بما غذيت من اخلاص وتفان ان اينعت واثمرت فاكره المفوض السامي على الافراج عن الدستور ودعيت البلاد الى اجراء انتخابات عامة وكان ذلك في غضون عام ١٩٣٤ وبعد ان تم تشكيل الندوة وفرغ من امرها انبرى فخامة الشيخ بشاره يعمل على تأسيس حزب برلماني يأخذ على عاتقه الدفاع عن حريات البلاد والعمل على تنقية الدستور وتحريره على النحو الذي يجيز لنا ان نسميه دستوراً بالمعنى الصحيح لهذا الاصطلاح . كما كان تلك الاثناء تجهد السياسة الفرنسية كما سبقت الاشارة اليه الى توريط البلاد بحلف عسكري نعترف لفرنسا بموجبه بحق وضع يدها على مرافق البلاد ومنشآتها لجنوح الموقف الدولي حينذاك الى الاضطراب والتأزم . وخلاصة القول تم لفخامة الرئيس تأسيس الحزب الدستوري وعهد اليه برئاسته وشرع منذذاك يعمل بالتعاون مع كتلة برلمانية منظمة على الحؤول دون عقد محالفة سياسية عسكرية مع فرنسا وتوريط البلاد في التزامات اجنبية جديدة معترف بشروعيتها من ممثليها الرسميين . وقد ادرك الفرنسيون مرامي الحركة السلبية التي يقوم بها رئيس الحزب الدستوري (الشيخ بشاره الخوري) فلم يروا مندوحة عن تعطيل الدستور

مجدداً قاصدين بذلك خنق هذه الحركة التي كانت تحاول النيل من اعز امانيهم ومشروعاتهم الاستعمارية الكالحة آملين ايضاً ان تمكنهم الظروف من اعداد عناصر تضمن لهم عقد محالفة عسكرية غير مشروطة بالنسبة للحقوق المعترف بها للفرنسيين الا ما كان منها للتغطية الشكلية ومجرد التمويه والتضليل .

ثم اتفق في تلك الاثناء ان فاجأت المنية المرحوم الاستاذ شارل دباس فصدر مرسوم من المفوض السامي عهد بموجبه الى حبيب باشا السعد بمهام رئاسة الجمهورية لمدة سنة . وفي اليوم الاول من مطلع عام ١٩٣٦ انتهت مدة ولاية حبيب باشا وكان قد صدر مرسوم آخر بالافراج عن الدستور وعودة البلاد الى النظام النيابي دون ان توجه دعوة لاجراء انتخابات عامة نظراً لعدم انقضاء فترة وكالة المجلس السابق . وكانت الجلسة الاولى للندوة بعد سحب قرار تعطيل الدستور من اعنف واصخب الجلسات التي عرفها البرلمان اللبناني في ذلك الوقت وكان الصراع قد بلغ اشده بين فخامة الرئيس واعضاء حزبه من جهة وبين السياسة الفرنسية وانصارها . فالمفوض السامي ومن اليه من صنائع في الندوة كانوا يرشحون لمقام الرئاسة الاولى الاستاذ اميل اده بينما اعضاء الحزب الدستوري ومن كان يواكبه داخل البرلمان وخارجه من العناصر الوطنية المؤمنة بحقها وكرامتها كانوا يرشحون فخامة الشيخ بشاره لمقام الرئاسة الاولى . ومن ناقل القول وتحصيل الحاصل التعقيب على اسباب تمسك المفوض السامي بالاستاذ اده فهي اجلى من جلية واوضح من واضحة اذ انه اي الاستاذ اده ملكي اكثر من الملك

واحرص من الفرنسيين انفسهم على مصالحهم . وبالرغم من تأييد الفرنسيين مرشحهم ومساندته بمختلف وسائل المساندة المعروفة فلم يخسر فخامة الشيخ المعركة الا بصوت واحد ، نقول بصوت واحد واذكروا ما هي الظروف التي كنا نحياها في ذاك الحين واذكروا ان المفوض السامي كان صاحب السلطات الفعلية فى البلاد . ولسنا هنا في مقام سرد قصة الصوت الواحد الذي كفل للاستاذ اده النجاح في انتخابات الرئاسة الاولى، وما هي فترة تنقضي على تسلم الاستاذ اده لمقعد الرئاسة الاولى حتى عرض على بساط النشاط السياسي قضية عقد محالفة عسكرية سياسية بين لبنان وفرنسا وهي المعاهدة التي حاربها ورفض فخامة الشيخ بشاره زج البلاد في قيودها التزاماتها وكانت المساعي التي بذلها الاستاذ اده في سبيل ابرام هذه المعاهدة ثمناً لنجاحه بصوت واحد في انتخابات رئاسة الجمهورية . ومما تجدر الاشارة اليه ما دمنا في معرض هذا الموجز الخاطف لنضال فخامة الشيخ بشاره في مرحلته الاولى التمهيدية من اجل استقلال لبنان وسيادته فلا بأس هو ان عهد الاستاذ اده قد امتاز بحركات انفصالية واسعة ان في الشمال ام في الجنوب والبقاع كادت ان تطوح بكيان لبنان وتؤدي بوحدة حدوده كما اجتاحت البلاد موجة من الاضطربات والحوادث الدامية فعبثاً كنت تبحث عن زاوية واحدة تسودها السكينة في هذا البلد . وقد كان ذلك نتيجة لسياسة العنف والاستغلال والانتهاز التي انتهجها المسؤولون في مختلف مرافق الدولة ولايزال كل لبناني سليم الذاكرة على ما نعتقد يذكر تلك الايام التي لم

يمكن فيها من حادثة سارة واحده الا اليوم الذي لا يقع فيه قتلى وجرحى بنتائج اشتباك الاهلين مع رجال الامن غضبة ونفرة من السياسة الاستعمارية التي كان يتولى الاستاذ اده تطبيقها لحساب الفرنسيين . واذا كنا لا نذكر شيئاً فانما نذكر هذا السيل من البرقيات والمذكرات والعرائض التي كانت تتدفق من لبنان على وزارة الخارجية الفرنسية (الكي دورسي) وسكرتيرية عصبة الامم طالبة الانفصال عن الكيان اللبناني والالتحاق بسوريا نفرة من سياسة المحسوبية والترضية التي كان يتبعها الاستاذ اده واعوانه من المتربعين حينئذ على مقاعد الحكم .

وكان يدعم الاستاذ اده وحكوماته داخل المجلس حزب جمعت ما بينه النفعيات والمصالح وجاءت اكثريته عن طريق التعيين وايعازات المفوض السامي وكان يعرف هذا الحزب المرتجل الذي امتاز بتنافر عناصره وتباعد ذهنيتها وانحلال ايمانها الوطني ، النفر اليسير من اعضائه (الحزب الاتحادي) .

وقد ظل فخامة الشيخ بشاره على رأس الحزب الدستوري طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٣٦ حين تعطيل الحياة النيابية ١٩٣٩ يواصل نضاله دفاعاً عن الحريات الدستورية في البلاد ويعمل قدر المستطاع في ظرف اولئك هم اسياده وقادته على الحؤول دون تردي البلاد في قعر الهاوية المحتمة . وما ان تأزم الموقف الدولي واصبحنا على قاب قوسين من اندلاع الحرب الكونية الاخيرة حتى اصدر المفوض السامي المسيو بيو مرسوماً استعمل فيه صلاحياته المقررة من المادة ١١٦ من الدستور وقضى مجدداً

بتعطيل الحياة النيابية متخذاً من اضطراب الحالة الدولية وانسياق العالم الى الحرب الثانية حجة وذريعة لتبرير هذا الاعتداء الصريح على حريات البلاد السياسية . ولم تحدث فعلته اية دهشة في لبنان اذ بات خنق حرياتنا ورفس حقوقنا الاولية على ايدي ولاة الانتداب وممثليه من الامور المألوفة والحوادث العادية اليومية وقد اضيف بذلك صفحة جديدة على سجل الانتداب الاسود البغيض ، وفسح المجال بذلك امام الاستاذ اده والجهاز الاداري الذي اصطنعه لنفسه واطلق عليه لقب حكومة للتنكيل بمصالح البلاد العليا والنيل من امكانياتها وتسخير طاقاتها الانتاجية والمدرارة لمصلحة المنتدبين والمستعمرين .

هذا هو لون وخصائص المرحلة الاولى من المعمعان العنيف الذي خاض غماره فخامة الشيخ بشاره الخوري ضد خصم اجنبي يملك السلاح الماضي الفتاك وهو لا يملك من العتاد الا قوة الايمان وصلابة العقيدة ، وطهر النفس ، وعفة اليد والاعتداد بالذات ، ومع ذلك فقد ثابر عنيداً عنيفاً على جهاده ونضاله ولم ينفك عنهما الا وقد ازهرا واينعا ورأى ثمارهما بام عينيه .

واذا كان لنا من فكرة نستخلصها من هذه المرحلة المضطربة القلقة المزروعة بمختلف اغراس الاغراء والاضطهاد هو ان فتوة الخلق وعمق التحسس بالواجب ، وتقدير المسؤولية الوطنية كفيلة ضمينة بان تجعل المرء متمسكاً بصموده مهما كانت السبل وعرة والمسالك محفوفة بالاخطار . ولا شك ان شخصية تلك هي صفاتها وهذه هي خصائلها لا تستحق الاحترام والتقدير فحسب ، بل هي جديرة بالتخليد والاكبار .

المرحلة الثانية

من نضال فخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري

او معركة لبنان الاستقلالية

طالع القارىء مما تقدم الخطوط الكبرى او موجز المرحلة التي خاض فيها فخامة اللبناني الاول ميدان النضال والكفاح في سبيل لبنان ومن اجل استقلاله وسيادته وما تبين كذلك بالوقائع والحوادث ان اسم فخامته ظل مقروناً باهم وابرز الحوادث في تلك الفترة التي تمت في الحقلين السياسي والوطني . واما المرحلة الثانية لهذه الحلقة المتسلسلة من الجهاد القومي التي تبدأ بابتداء عام ١٩٤٣ فقد كان وما زال اسم فخامته ملازماً للصغير والمعتدل والجسيم من الامور التي تحققت خلاله ويطلق عليه بحق ودون ما خشية من الاتهام بالمبالغة اسم عهد الشيخ بشاره الخوري او فجر استقلال لبنان . وقبل ان نعرض بالتبسط الى ما حقق من جليل الاعمال في هذه الحقبة القصيرة من الزمن لا بد لنا من الوقوف ولو قليلاً عند وضع لبنان خلال المدة الفاصلة بين عام ١٩٤٠ – ١٩٤٢ –

تركنا لبنان في الصفحات القصيرة السابقة عند صدور قرار المفوض السامي المسيو بيو بتعطيل الحياة النيابية ومتابعة الاستاذ

اميل اده التمرس بمقدرات الحكم يعاونه جهاز اداري صغير مسؤول مباشرة تجاهه . وكانت الحرب في تلك الاثناء قد اندلعت نيرانها وامست السيطره بحكم هذا الواقع للسلطات العسكرية الفرنسية ولم يبق من فعالية للهيئة المحلية الحاكمة الا ما يتصل بمعالجة وتصريف الامور التافهة البسيطة .

قد ظل الوضع على هذا النحو الى ان انهارت فرنسا وتوقفت عن متابعه القتال وقامت على انقاض الجمهورية الفضفاضة حكومة فيشي برئاسة المارشال بتان . وكان من البديهي ان يؤثر تطورات الوضع الحربي والسياسي في فرنسا على سير الحالة في لبنان اذ ان الادارة الفرنسية في هذا الجزء من البلدان التي كانت مشمولة بالانتداب والنفوذ الفرنسي قد فضلت التوقف عن متابعة القتال والاذعان لسلطان حكومة فيشي .

وقد كان القلق وعدم الاستقرار الطابع الممتاز لهذه الفترة لا سيما بعد ان شدد الحلفاء الحصار حول لبنان وسوريا واحكموا اطباقه على هذين البلدين . وما ان كنا في اليوم الثامن من حزيران عام ١٩٤١ حتى خرقت طلائع الجيش البريطاني ومن كان يعمل الى جانبه من اتباع الجنرال ديغول حدود لبنان من الجنوب ودار قتال عنيف بين القوات الاسترالية الزاحفة وبين الحامية الفرنسية من اتباع حكومة فيشي . ولم تنهار المقاومة الفرنسية الا بعد ان اجتاز الانكليز ورجالهم جسر الدامور ووقع في عكا بين قيادة الطرفين وثيقة المهادنة ووقف القتال وشروط اجلاء

فلول فيشي عن لبنان وسوريا ، وقد انتهت ادارة الجنرال دانتز عملاً باحكام هذه الهدنة في السادس عشر من شهر تموز من ذات العـــام .

وكان الجنرال كاترو قبيل اقتحام الحدود اللبنانية قد وزع بالنيـابة عن الجنرال ديغول بيانا اعلن فيه اعتراف فرنسا الحرة باستقلال لبنان وسيادته وضمن السفير البريطاني في العاصمة المصرية حينذاك اللورد كيلرن في بيان مماثل مـا جاء في بلاغ الجنرال الفرنسي من تعهدات واعترافات .

وفور استلام الجنرال كاترو للادارة الاقليمية في لبنان حالا محل المفوضية الفرنسية وفقاً لاتفاقية الكبتن لتلتون الوزير البريطاني المقيم في القـاهرة والجنرال ديغول ، تبودلت بين الجنرال كاترو والاستاذ الفرد نقاش رئيس الدولة اللبنانية في ذاك الوقت رسائل الاعتراف باستقلال لبنان وسيادته .

تطورات الوضع السياسي

في لبنان

نتابع فيما يأتي ابرز الحوادث ووصف تطورات الوضع السياسي في لبنان خلال الفترة الاولى من تمركز الجيوش المتحالفة بعد ان توقفت فلول فيشي عن المقاومة بموجب مهادنة عكا المبرمة في الثالث عشر من شهر تموز عام ١٩٤١ .

ويجدر التذكير في هذه المناسبة ان البريطانيين ومن كان يعمل من حملة السلاح تحت امرتهم احتلوا الارض اللبنانية وما فيها من مواقع استراتيجية لاعتبارات حربية صرف وقد تعهدوا بالجلاء عن هذه الربوع وسحب آخر جندي منها فور انتهاء الحرب واعلنوا في مختلف البيانات الصادرة عن مسؤوليتهم ان دخولهم هذه البلاد خالٍ من كل غرض سياسي وليس لهم فيها اي مطمع واية رغبة مبطنة في حين ان فلول الجنرال ديغول التي كان يتزعمها الجنرال كاترو قد ساهمت في احتلال لبنان ضمن شروط تختلف تمـــام الاختلاف عن الاسباب الحربية التي حملت البريطانيين على اخراج الفيشيين من لبنان وسوريا وادخال هذين البلدين بـــين سلسلة قواعدهم المنتشرة في كافة انحاء الشرق الاوسط .

نقول ان فلول فرنسا الحرة قدمت الى سوريا ولبنان وهي تدغدغ حلقة من الاحلام والاخيلة عاقدة النية على البقاء في هذه البقعة الى ما لا نهاية ، لو ان الاتفاقات السرية الموقعة بين تشرشل حينذاك والجنرال ديغول توجب على البريطانيين الاعتراف للديغوليين بحق التمرس في السلطات الادارية والعسكرية في البلدان التي يحتلها الحلفاء وكانت فيما سبق خاضعة للنفوذ الفرنسي .

وفي الواقع لم يأت الجنرال كاترو الى السراي الكبير في بيروت الا ليواصل تمثيل الدور الذي كان يقوم به اسلافه من المفوضين السامين قبل انهيار فرنسا . ولم نكن بحاجة الى الكبير من الوقت لاستبيان واستجلاء هذه الحقيقة . فمنذ الاسبوع الاول لتمركز الحلفاء في لبنان اخذ الجنرال كاترو واعوانه ومن انضم اليهم من بقايا الفيشيين يتصرفون في مقدرات البلاد ومرافقها على ذات الطريقة ونفس الاساليب المهلهلة الذي كان يدرج عليها من تقدمهم من ممثلي الجمهورية الفرنسية قبل تقويضها . فعبث مستمر بمصالح البلاد ، وامعان متواصل في استغلالها وانتهاج الاضطهاد لكل حركة تحررية تطالب باحقاق الحق واحترام العدالة. فالجنرال كاترو كان يدير ويسوس على ذات الخطة التي كان يدرج عليها الجنرال - غورو - مع فارق واحد هو ان هذا الاخير كان يمثل ويتكلم باسم اضخم دولة عسكرية في العالم رابحة لاول حرب عالمية في حين ان الاول (اي كاترو) لم يكن يمثل الا دولة منهزمة منهارة ومجموعة من المتشردة نزحت عن بلادها تحت التستر برغبة الاستمرار في متابعة الحرب الى جانب البريطانيين وحلفائهم ضد

الالمان .

ومع ذلك فقد قدر اللبنانيون حراجة الظرف ودقة الموقف الحربي وقبلوا الواقع على علاته ولم يحركوا ساكناً بانتظار تطورات الحوادث وتبلور المؤاتيات .

واما الجنرال كاترو فمضى يتصرف بالادارة الاقليمية للبلاد على اوسع الوان الحكم الكيفي غير مبال بحقوقها وبما قطع باسم رئيسه ديغول من عهود ومواثيق كفلها البريطانيون انفسهم قبيل اقتحام قواتهم لحدود هذه الربوع . فكان التذمر والتقزز والاستنكار من تحكم هذه الطغمة من المتشردة بمصالح بلد آمن مسالم الطابع البارز المهيمن على الحالة الداخلية في كل من سوريا ولبنان خلال هذه الفترة .

وفيما كان الجنرال كاترو وجماعته يمعنون في التعنت والغطرسة كان كبار ساسة البلاد وعلى رأسهم صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري يواصلون السعي لدى حكومة لندن عن طريق بعثتها السياسية في بيروت التي كان يتولى امرها الجنرال سبيرس وسفارتها في القاهرة لوضع حد لهذه الحالة الشاذة المضطربة ولتفادي ثورة كانت محتمة لا مفر منها . فكان البريطانيون يقابلون هذه المساعي بتوكيد الوعود وتكرار القول بان الظروف الحربية لاتسمح بعد بالقيام باي مشروع سياسي يؤدي لتغيير نظام الحكم في البلاد ويضمن لها بعض الاستقرار الذي تنشدوافهم.(اي البرلمانيين) مرتبطون بعقود مع الجنرال ديغول لا يسعهم الا التقيد بها طوال ما هي الحالة الحربية على ما كانت عليه حينئذ من الابهام والغموض

وبعبارة اخرى كان الانكليز يريدون القول اننا لا نستطيع الضغط على الجنرال ديغول قبل ان تؤول الحالة الحربية الى صالحنا ونصبح المسيطرين فعلياً على الموقف واما فيما يتناول وضعهم في لبنان فقد تجنبوا اي تدخل مباشر في الشؤون المحليه الا ما كان يتصل منها بتنظيم العمل الحربي . على ان الجنرال سبيرس اخذ بين حين واخر وتبعاً لسير الحوادث يشجع الجهود الهادفة الى التخلص من الادارة الفرنسية وكانت العلاقات بين بعثة سبيرس والمندوبية الفرنسية على توتر متصل وتشادد يختلف ليناً وعنفاً وعلانية وتبييناً وفقاً للمناسبات وخلاصة القول ان البريطانيين كانوا يعملون كأدارة عسكرية عابرة بينما الفرنسيون كانوا يتكيفون كسلطة مشروعة دائمة لها حق التدخل بالصغيرة والكبيرة من قضايا البلاد ومصالحها .

نعود الان بعد هذا الايضاح الموجز لروحية الوضع خلال الفترة التي ادت الى تدوين الوقائع وبيان البارز من الحوادث . لقد سبق وقدمنا ان الرسائل التي تبودلت بين الاستاذ الفريد بك نقاش وبين الجنرال كاترو اعترافاً باستقلال لبنان وسيادته اتخذت من الناحية المبدئية اساساً للعلاقات بين السرايا الصغير (اي الحكومة اللبنانية) وبين المندوبية الفرنسية . نقول اساساً من الناحية المبدئية باعتبار ان الفرنسيين لم يرعوا اثناء هذه المده اي شرط من شروط هذا الاقرار باستقلال لبنان ولم يحافظوا على عهدهم الخطي باحترام سيادته . بما حدث بعد مرور قرابة سنة من حلول الادارة الديغولية محل الادارة الفيشية عملا باتفاق الوزير

البريطاني لتلتون ورئيس فرنسا الحرة الجنرال ديغول هو ان الظروف الداخلية قضت بتكليف دولة سامي بك الصلح بترأس الحكم عوضاً عن الاستاذ احمد الداعوق . ولا حاجة للقول في هذا الصدد ان الرئيس سامي بك كان على تشادد مستمر مع المندوبية الفرنسية الى جانب الجهود التي كان يبذلها للتخفيف من غطرسة المقيمين على هذه المؤسسة وتأييده بمختلف المساعي التي كانت تبذل في الخفاء والعلانية للتخلص من هذا الوضع الموقت الشاذ والنجاح في توفير نظام سياسي يسير بلبنان الى استقلاله الفعلي ويضمن له حرياته واستقراره .

ذكرنا فيما سبق ان فخامة الرئيس الشيخ بشاره الخوري كان في مقدمة الذين جاهدوا لانقاذ لبنان من الطغمة الديغولية . وقد بلغ العناد بفخامته لاستعجال نهاية هذه الزمرة اشده بحيث تبسط في مصارحة الوزير البريطاني المقيم في القاهرة خلال زيارته للعاصمة المصريه عام ١٩٤٢ ولم يتردد من تنبيهه الى ان البلاد مهددة بنشوب ثورة لا تذر ولا تبقي اذا لم تنسف الادارة الديغولية من صرحها وتعاد الى لبنان حرياته السياسية والبرلمانية . وقد افضت هذه الجهود الحكيمة الخالصة الى النتائج التي كان يرومها اللبنانيون المخلصون . فأخذت الديبلوماسية البريطانية بعد ان تبينت هذه الجديه في المطلب وتأكدت ان كل تلكؤ وتباطؤ في الاستجابة الى رغائب البلاد سيؤديان الى اشر الكوارث بالضغط على الجنرال ديغول مؤيدة جهود فخامة الشيخ بشاره وصحبه من قادة الدفة السياسية في لبنان . وما لبث هذا التعاون

بين ساسة لبنان والديبلوماسية البريطانية او اوتي ثماره وانتهى باكراه المندوب الفرنسي على اصدار مرسوم يبطل فيه قرار سلفه المفوض بيو الذي قضى قبيل اندلاع الحرب بتعطيل الحياة النيابية في البلاد وادارتها مباشرة عن طريق هيئة محلية شكلية مجردة عن كل سلطة فعلية .

وقد عين شهر ايلول من عام ١٩٤٣ موعداً لاجراء الانتخابات العامة وكان هذا القرار قد صدر في اوائل اذار من ذات العام . وابتدأ لون جديد من المشادة والصراع بين الحكومة اللبنانية التي كان يرأسها حينذاك دولة سامي بك الصلح في عهد الاستاذ الفرد نقاش وبين الجنرال كاترو . وقد كان السبب الرئيسي في هذه الصبغة العنيفه التي اتخذتها تلك المشادة يرجع الى رغبة المندوب الفرنسي في احلال هيئة موالية للفرنسيين محل الرئيس الصلح تتولى ادارة المعركة الانتخابية مهمتها تزوير الانتخابات والاتيان بعناصر رجعية متفسخة لا امل لها بالحياة والارتزاق الا عن طريق التمرغ على اعتاب الاجنبي .

وقد بلغ تعنت الجنرال كاترو حداً بحيث ارسل ينذر الرئيسين الصلح ونقاش باحتلال سراي البرج بالقوة المسلحة اذا لم يقدما استقالتهما مستنداً من الوجهة القانونية الى انه لا يزال مصدر السلطات بموجب الصلاحيات التي ورثها عن صك الانتداب الفرنسي على لبنان . وانتهى هذا الصراع الخفي « وتلك كانت مقتضيات الظروف في هذه الاثناء » بخروج الجنرال كاترو ظافراً من هذه المعركة الصامتة . فعهد بعد استقالة النقاش والصلح الى المرحوم

الدكتور ايوب تابت برئاسة الدولة والحكومة على ان يعاونه سكرتير عام للحكومة ووكيل سكرتير عام في ادارة الدولة . وقد اسند المنصب الاول الى عبدالله بك بيهم بينما اسند المنصب الثاني الى المرحوم توفيق عواد . وكان من جملة الوهية التي تذرع بها الجنرال كاترو في هذا الخرق الصريح لسيادة البلاد ان اصطنع حركة من دعاة فرنسا في لبنان راحت تطالب باقصاء الاستاذين النقاش والصلح عن الحكم حرصاً على حرية الانتخابات واستبدالها بهيئة تتوفر فيها عناصر وشروط الحيدة وعدم التحيز .

واما البريطانيون فقد اثروا عدم التدخل المباشر في المشادة التي قامت بين الصلح ونقاش من جهة والمندوب الفرنسي من جهة ثانية تشجيعاً منهم لتوريط الفرنسيين في مأزق جديد وحملهم علانية على خرق سيادة بلد تعهدوا خطياً باحترامها بضمانة الانكليز انفسهم نستطرد فنقول ان الديبلوماسية البريطانية اثرت عدم التدخل فيما كان بين الصلح ونقاش وكاترو لاعتقادها بان النتيجة المحتمة لمثل هذا الخطأ الفادح ستعجل بنهاية البقية الباقية من النفوذ الفرنسي في هذا البلد . وفيما كانت الحوادث تتطور على هذا النحو اذا بقرار يصدر من لجنة التحرر الوطني لفرنسا الحرة التي عهد برئاستها باديء بدء الى الجنرالين جيرو وديغول يقضي باسناد مقعد تنظيم الشؤون الاسلامية في شمالي افريقيا الى الجنرال كاترو « وهو مقعد شبيه بكرسي وزاري بالنسبة لسلطات لجنة التحرر في الاجزاء التي احتلها الحلفاء من الامبراطورية الفرنسة » وتعيين السفير هيللو مندوباً مطلق الصلاحية في لبنان وسوريا للجنة التحرر الفرعية .

وقد ظن في اول الامر ان استبدال كاترو العسكري بمدني ديبلوماسي تمرس مدة طويلة بالعمل السياسي سيخفف من حدة الغطرسة الفرنسية وسيعرف البلاد الى وجه يقابل الوقائع ويتفهمها في كنهها وجوهرها ولم يظن انه سيكون اشد عصبية وابعد تعنتاً وابلغ حماقة من العناصر العسكرية ، ولكن العناية تأبى الا ان تمنح المرء المصير الذي يليق به وينال كفاءاته. وهكذا كان الحال مع هيللو وعصبة ديغول فالمنوب الجديد او السفير هيللو بطل اكبر حماقة في التاريخ اراد هو ايضاً ان يضرب معوله في جسم السيادة اللبنانية وان يساهم في ذات الوقت بنصيبه في تعجيل مصير الوجود الفرنسي في هذه الربوع فمضى يضاعف من تكتيك اسلافه من الفرنسيين وراح يتخذ من التدابير اثرها وكأنه يسوس قبيلة من زنوج مجاهل افريقيا بينما زميله البريطاني كان يضحك ويطيل من القهقهة لانه بامثال هؤلاء الزملاء من حليفة بلاده حقق حلم مابة عام بكامله وهو الحلم البريطاني بابعاد فرنسا عن شرقي المتوسط وخاصة العالم العربي .

واما المرحوم الدكتور ايوب تابت فقد اتخذ من ناحية بوحي مهبط سلطان المندوب الفرنسي سلسلة من الاجراءات والمراسيم اعداداً للمعركة الانتخابية كادت تشطر الوطن الواحد الى معسكرين وتذكي نار الفتنة وتهدده بثورة اهلية وكان من اثار هذه التدابير المباشرة التي كانت لصالح طائفة دون الاخرى واتخذت كما اسلفنا بطلب السفير هيللو واستجابة لرغباته اسفرت عن تكتل زعماء الطائفة الاسلامية وانصهارهم في مؤتمر اطلق عليه حينئذ المؤتمر

الاسلامي الذي واصل جلساته في دار الايتام ثلاثة ايام متوالية وقرر باختتامها مقاطعة الانتخابات من قبل جميع الطوائف المحمدية اذا لم يلغ القرار الذي اتخذ لمصلحة طائفة دون اخرى . وهذه المرة الاولى التي يتدخل فيها البريطانيون مباشرة ويهددون باستعمال صلاحياتهم من سياسية وعسكرية اذا لم يقص الدكتور تابت عن الحكم ويلغى هذا القرار الذي قضى بزيادة تسعة مقاعد تمثيلية للطائفة المارونية في الندوة النيابية . وقد خيل لرعونة السياسة الفرنسية انها في مثل هذا الاجراء تستطيع اشعال لهيب الفتنة بين اكبر طوائف لبنان وتنجح عن طريق ذلك باجتذاب العنصر الماروني نهائياً الى حظيرة نفوذها . ولكنه لم يخطر ببالها في حال من الاحوال ان ساسة هذه الطائفة وشبابها سيتولون قيادة المعركة الاستقلالية حينما يجد الجد ولما تؤذى الكرامة .

ونتابع الان ما بدأنا من حديث فنقول انه ازاء هذا التهديد الذي انذر فيه المؤتمر الاسلامي بمقاطعة الطوائف المحمدية للانتخابات ونتيجة للتدخل البريطاني استقال الدكتور ايوب تابت من الحكم بعد ان ظل قراره حبراً على ورق والغيت احكامه وجيء بالمرحوم الطيب الذكر الرئيس بترو طراد الى الحكم لادارة المعركة الانتخابية وقد اشتهر رحمه الله بعفة النفس والنزاهة وتقديس الضمير وهو من الشخصيات المجربة وممن تقلبوا في اكبر مراكز الدولة وكان سابقاً رئيساً للندوة النيابية وحلت بذلك الازمة الاولى التي اثارتها حماقة المندوب الفرنسي السفير وكانت نتيجة لضغطه على المرحوم الدكتور تابت . وقد مضى الرئيس

طراد يتخذ من التدابير والاجراءات ما اعاد الطمأنينة الى النفوس وقضى على جو التوتر الذي غمر لبنان .

واما الفرنسيون او فلولهم الذين المهم ان يفضح امرهم على هذا النحو وتنتهي بهم الحوادث الى الانهزام في الجولة الاولى من المعركة الانتخابية اخذوا يستعيضون عما اضاعوه بتنحية الدكتور تابت عن الحكم بتأسيس مكاتب سياسية يديرها عسكريون في مختلف المدن الرئيسية من محافظات لبنان الخمس . وراح هؤلاء متأثرين بذهنية سلطات ضباط الاستخبارات قبل انهيار فرنسا يبذلون المال بسخاء ملحوظ ويقطعون العهود ويعدون ويتوعدون لاعتقادهم بان مصير رفاهيتهم ووجودهم يتوقف على نتيجة تلك الانتخابات .

وقد بلغ التنافس بينهم وبين الانكليز اقصى درجاته وابعد حدوده اذ ان هؤلاء لم يقفوا في هذه المرة مكتوفي اليدين بل اضطروا في بعض الاحيان للتدخل مباشرة تخفيفاً من حدة الضغط الفرنسي ولاسيما في المناطق التي ما زالت تتخيل ان ضباط المكاتب السياسية ودوائر المخابرات من الفرنسيين هم اصحاب ذات السطوة التي كان يمارسها اسلافهم من ضباط الاستعلامات في مطلع الاحتلال وعهد الانتداب . والواقع ان المعركة كانت عنيفة للغاية والصراع بلغ الذروة من الشدة .

فهناك العنصر الفرنسي الذي كان يصر باي ثمن على ان لا يخرج بخفي حنين وخالي الوفاض حتى من هذه التجربة وهناك العنصر البريطاني الذي يأبى بدوره الا ان يستغل السانحة ويطهر البرلمانات اللبنانية والى الابد من السيطرة الفرنسية عن طريق المواطنين

الرجعيين للاستعاضة عنها بعناصر موالية للسياسة البريطانية وهناك ايضاً النفوذ السوفيتي الذي اراد اثبات وجوده واشراك الحزب الشيوعي اللبناني في المعركة الانتخابية ولاينبغي كذلك ان نبخس التدخل الاميركي حقه بواسطة بعض المرشحين المعروفين بميولهم ونزعاتهم الاميركية والذين تشدهم اوثق الروابط الى مختلف المؤسسات التجارية والصناعية في اسواق الولايات المتحدة وغيرها من اسواق اميركا الجنوبية بهذه الالوان المختلفة المتباينة من العوامل الدولية امتازت اول معركة انتخابية في لبنان بعد اول الافراج عن الدستور عام ١٩٤٣ . وهي على ما ترى متداخلة متشابكة ولكل منها مداها الحيوي ونطاق نفوذها ولو اضفنا اليها عامل التنافس الاقليمي الصرف لخرج معنا بالطريقة الحسابية حسن قياس لعنف الصراع الداخلي والخارجي في معمعان انتخابي من هذا النوع .

وقد انتهت الانتخابات بفوز القوائم التي تزعمها السادة–سامي الصلح في بيروت ، فخامة الشيخ بشاره الخوري في جبل لبنان عبد الحميد كرامه في الشمال – احمد الاسعد في الجنوب ، صبري حماده في البقاع .

وبانتهاء المعركة على هذا الوجه الذي تغلب فيه اللبنانيون على تدخلات الاجنبي ودسائسه ، اسدل ستار على ماض عمر اكثر من ربع قرن ودخل لبنان في فجر مرحلة جديدة من تاريخه القومي تم خلالها من الاحداث اجسمها واخلدها ، ومهد له بذلك باحتلال المركز اللائق به بين الدول وهرول الانتداب منحدراً مسرعاً

الى قعر العدم . وقد تألف البرلمان اللبناني الجديد من ٥٥ عضواً مثلت فيه جميع الطوائف المذهبية واكثر الطبقات الاجتماعية فكان فيه السياسي والصحافي والتاجر والصناعي والمزارع ورجل المال والاعمال . كما مثل فيه التقسيم الاقليمي جميع المحافظات والاقضية . وسنثبت في موضوع اخر من هذه الرسالة للاعتبار التاريخي – فقط – اسماء النواب الذين فازوا في اول معركة انتخابية كانت نتائجها مقدمة لاشراق صبح العهد الاستقلالي .

في صميم المعركة

نستطيع القول انه بابتداء هذا الفصل ابتدأنا بخوض صميم الموضوع الذي دبجنا من اجله هذه الرسالة فلا ينتظرن منا القارىء الايجاز والاقتضاب شأننا في الفصلين التمهيديين وانما سنعنى بكل كبيرة وصغيرة تمت خلال هذه السنوات الخمس والحمدلله ليس بينها من حادثة واحدة لا تستحق الاختصاص برسالة لا تقل حجما عن هذه الرسالة . فمن سلسلة الحوادث التي سنسردها اكتمل تكوين لبنان بلداً مستقلاً سيداً له مكانته المرموقة في الحقلين الدولي عامة والعربي خاصة .

التأم المجلس النيابي بعد ان فرغ من تشكيله للمرة الاولى برئاسة اكبر الاعضاء سناً في السابع عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٣ وشرع بانتخاب رئيسه ففاز السيد صبري حماده باكثرية الاصوات برئاسة اول ندوة نيابية في فجر العهد الاستقلالي ثم صير الى انتخاب نائب الرئيس وهيئة المكتب على مألوف العادة . وفي الثاني والعشرين من ذات الشهر اجتمع المجلس النيابي لانتخاب رئيس الجمهورية ففاز فخامة الشيخ بشاره الخوري برئاسة البلاد الاولى باجماع الاصوات . فكان لهذا الحادث اثره البعيد الداوي في مختلف الاندية الوطنية واحدث بهجة وغبطة في شعور اللبنانيين

المخلصين قلما اتفق نظيرها في اكثر مناسبات حياتنا القومية ولم يكمد ويقطب الجبين لهذه النتيجة الطيبة المفرحة الا اركان المندوبية الفرنسية وعلى رأسهم سفيرهم هيللو ومن قال برأيهم ورأيه وتمذهب بمذهبهم ومذهبه من اذناب الاستعمار الفرنسي ودعاة الانتداب ولا بد من الاشارة ولو تلميحاً الى ان هيللو بذل المستحيل للحؤول دون وصول فخامة اللبناني الاول الى سدة الرئاسة واستعمل في هذا السبيل كافة ما مكنته وسائله الديبلوماسية وصلاحياته الادارية . فذهبت جميعها عبثاً ادراج الرياح ولم يكتب الفوز الا للارادة الشعبية التي اجمعت على ان يكون مقود مقدرات البلاد في فجر هذا العهد الذي توقف عليه مصير لبنان لاجيال بعيدة في ايد نقية طاهرة وفي ضمير لا يؤخذ بالمغريات مهما كانت الوانها ونوع مصادرها .

دولة رياض بك الصلح

يشكل الوزارة الوطنية الاولى في العهد الاستقلالي

وما ان باشر فخامة اللبناني الاول بالتمرس بسلطاته واحتل ديوان الرئاسة حتى عهد الى دولة رياض بك الصلح بتشكيل الوزارة تقديراً منه بان البلاد مدعوة، لمواجهة اخطر المؤامرات الاجنبية والداخلية وادقها احكاماً وتنظيما ولا سبيل للتغلب عليها والخروج براس مرفوع من معركة الاستقلال الا بالتعاون مع

عناصر قوية الشكيمة تفعل وتزن اهمية مسؤولياتها .

وفي الواقع لبى رياض بك الصلح دعوة الرئيس واستجاب الى رغباته وشكل وزارته الاولى التي اختار اعضاءها من اوفر الشخصيات اللبنانية شعبية ووطنية و كفاءة .

وقد ضمت هذه الوزارة السادة : كميل شمعون للداخلية والمالية حبيب ابو شهلا للعدلية ونيابة رئاسة مجلس الوزراء ، المرحوم سليم تقلا للخارجية الامير مجيد ارسلان للدفاع الوطني عادل عسيران للتموين . ومضى هذا الجهاز الفتي الفياض بالحيوية والملتهب حماساً ووطنية بعد بيانه السياسي لجلسة الاقتراع على الثقة الذي لقب فيما بعد اي البيان بالميثاق الاستقلالي . وقد تضمن هذا البيان النقاط الاساسية التالية :

الحقل الداخلي

تعهد الحكومة بالتقدم بمشروع قانون تعديل الدستور وازالة النص الذي يعطي لممثل فرنسا حق تعطيل الحياة البرلمانية — جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وحدها . تحريم التخاطب بين الدوائر الرسمية والمفوضيات والمؤسسات الاجنبية على اختلاف انواعها الا بلغة البلاد القومية ، ادخال مختلف الاصلاحات على جهاز الدولة الاداري وتطهيره من ادران العهد البائد ، تعديل البرنامج التعليمي وخلقه خلقاً جديداً يتفق مع الكرامة القومية

والتنشيء الوطني – وضع المعاهد الاجنبية تحت مراقبة وزارة التربية الوطنية واخضاع اساليبها التعليمية لسياسة هذه الوزارة وتوجيهاتها . الاكثرية من المدارس الابتدائية ومضاعفة الجهود لمكافحة الامية واعداد الاسباب لفرض التعليم الابتدائي الاجباري.

اقامة السياسة المالية على اسس جديدة تتفق مع مبادىء الدولة المستقلة السيدة . اقتطاع عشرات الملايين وتكوين احتياطي لتمويل المشاريع الانشائية والعمرانية انتزاع الصلاحيات التي كان يمارسها الفرنسيون في الحقل الداخلي لحساب لبنان ، الاستغناء عن خدمات المستشارين الفرنسيين في دوائر الدولة ، حصر حق المسؤولية عن جاليات لبنان في الخارج بالمفوضيات والقنصليات اللبنانية .

الحقل الخارجي

لا مركز ممتاز لاية دولة اجنبية في لبنان واشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو طليقاً من كل التزام – اجنبي – الخروج من الانكماش الذي فرضه المستعمر على لبنان واتخاذ اقصى حدود التعاون مع الدول العربية اساساً لسياسة لبنان في الحقل الخارجي مع المحافظة والحرص الدقيق على سيادة واستقلال هذه البلاد ، اتخاذ شرعة مؤتمر سان فرنسيكو اساساً لعلاقات لبنان بالسياسة الدولية الى ما هنالك من التفاصيل المنبثقة عن هذه المبادىء العامة وقد نالت وزارة دولة الرئيس رياض الصلح ثقة النواب بالاجماع

وسمي بيان حكومته بميثاق الاستقلال .

لم يكن هذا البيان بيان وزاري فحسب ولم يكن من الطراز الذي الفناه من الحكومات السابقة وانما كان كما اطلق عليه بحق ميثاق الاستقلال بل وكان النذير الاول والاخير بدفن عهد طالما سفكت الدماء ، وجندلت الرقاب في سبيل الانعتاق منه والتحرر من قيوده . وكان كذلك بمثابة اعلان صريح حازم قال فيه لبنان : انني اريد الانطلاق الحرية ، انني صممت وعقدت النية على العيش سيداً حراً ولن اكون لاستعمار جاراتي واشقائي ممراً وفي الواقع عكفت الوزارة الرياضية الاولى على اخضاع فعاليتها السياسية لكل بند وفقرة من نصوص هذا الميثاق الاستقلالي . فكان عملها الاول الذي قامت به طبقاً للتعهدات التي وردت في البيان الانف الذكر ان تقدمت في السابع والعشرين من شهر تشرين الاول من عام ١٩٤٣ اي عقب يومين اوثلاثة من تربعها على مقدرات الحكم بمشروع قانون يقضي بتطهير الدستور اللبناني او بالقضاء على المادة المفروضة على هذا الدستور التي تمنح ممثل فرنسا حق تعطيل الحياة النيابية تاركة له وحده صلاحية تقدير الاسباب والموجبات . فكان لهذه البادرة – او على تعبير العسكريين – لهذه الردة المعاكسة على سياسة السفير الفرنسي هيللو وقعها الداوي المرعب في صدر دخيل يريد ان لا يتخلى عن مركز مغتصب ولو كلفه نحر العدالة ومبادىء العلاقات الدولية في صميمها.

وكان من البديهي والمقدر مبدئياً ان لا يقف المندوب الفرنسي مكتوف اليدين وهو الذي انفق من الجهود اوفرها للحؤول دون

مواجهة هذا الواقع المر . فبعد فشل دسائسه في اعتراض اندفاع فخامة اللبناني الاول نحو السدة الاولى في البلاد ، جعل يركز همه لتلافي استعجال مصيره واطالة امد الحشرجة لوجود بلغ الحد الاقصى من سلم الانهيار . فالمساعي التي بذلها المندوب الفرنسي او السفير هيللو لدى رئيس الجمهورية بغية اقناعه بارجاء تعديل الدستور ريثما يستقر على رأي بالاتفاق مع لجنة التحرر الفرنسية في « الجا » « الجزائر » ذهبت ادراج الرياح .

ومما ينبغي ذكره في هذه المناسبة هو ان المندوب الفرنسي فور اقتناعه بان حكومة فجر العهد الاستقلالي لم تكن هازلة بل كانت على ابلغ ما يتصور المرء من جدية فعالية وانها انتوت فرض سيادتها كدولة مستقلة وانتزاع كل ما له علاقة بفرض هذه السيادة من ممثل فرنسا (اي الغاء المادة الدستورية التي تمنح المندوب الفرنسي حق تعطيل الدستور .

لم يترك (السفير هيللو) وسيلة من الوسائل ولاسيما عن طريق مندوبه لدى الحكومة اللبنانية المسيو « بار » الا واستخدمها قاصداً الانتفاع من الوقت والتنقيب بذلك عن خطة تؤمن الالتفاف والاطباق على توجيهات الحكومة اللبنانية واتجاهاتها . ولما يئس وايقن بالفشل اصدر بلاغاً وزعه على الصحف دون الرجوع به الى صاحب الحق (اي الحكومة اللبنانية) تنفيذاً لمقررات لجنة التحرر ورد فيه ما يفيد بان السلطات المنتدبة الوارثة صلاحياتها عن عصبة الامم لا تعترف للحكومة اللبنانية بحق تعديل الدستور وان صك الانتداب ذاته يقضي بان يتم التعديل بالاتفاق مع الطرفين صاحبي

العلاقة (اي المندوب والمنتدب عليه) فكان لهذا التصرف المنافي لكل شكلية وعرف في العلاقات الدبلوماسية بين دولتين اثره البعيد المؤذي لكرامة السيادة اللبنانية فردت عليه الحكومة الرياضية ببلاغ معاكس اجهزت فيه على جميع ما تضمنه بلاغ لجنة التحرر من الادعاءات الحقوقية الصرف وكررت توكيد عزيمتها على تحرير الدستور من ديكتاتورية ممثل فرنسا ولو كلفها تصرفها من الثمن اغلاه واثقله .

وفاتنا ان نذكر في هذا الصدد ان السفير هيللو قبل اقدامه على اصدار هذا البلاغ الذي اذيع دون مراجعة الحكومة اللبنانية ووزع مباشرة على الصحافة والرأي العام قد تم بقرار من لجنة التحرر الفرنسية بعد ان قصد اليها في مقرها في « الجا » وتمنى عليها هذا الحزم والعزم على ان تترك له الصلاحية المطلقة في معالجة وضع النفوذ والمصالح الفرنسية في لبنان . وكان في هذه المناسبة قد استمهل الحكومة اللبنانية ١٥ يوماً .

واما حكومتنا المتدفقة عصبية لبرنامجها الاستقلالي والحريصة على الاستفادة من فرصة على هذا القدر من المؤاتية لم تتقيد برغبة السفير هيللو المبطنة بكافة الوان الانذار والوعيد بل تابعت سبيلها وعرضت مشروع قانون تعديل الدستور على المجلس النيابي فكانت مناقشاته في صدده شكلية بحتة ثم ابرمه باجماع اصوات اعضائه وكان المندوب هيللو في هذا الوقت بلغ القاهرة عائداً من الجا — الجزائر — فابرق الى ممثله لدى الحكومة اللبنانية المسيو بار حاثاً اياه على بذل ما يستطيع بذله من وسائل الاقناع كحمل المسؤولين

اللبنانيين على ارجاء عرض هذا القانون (اي تعديل الدستور) على المجلس بانتظار وصوله الى بيروت واطلاع حكومتنا على نتائج مباحثاته مع اعضاء لجنة التحرر وفي مقدمتهم ديغول وكاترو . فاعتذر اركان لبنان عن الاخذ بهذا الاقتراح الذي يفح دساً وتامراً وابوا الا ان يعدل الدستور في الموعد الذي عين لعرض مشروع تعديله على البرلمان فكان كما اسلفنا اقرار هذا الامر باجماع اصوات الهيئة التشريعية. ويبدو ان المندوب هيللو لم يكن قاصداً من الحاحه على ارجاء التعديل الا مجرد التضليل والتمويه وان المؤامرة للانقضاض على سيادة هذا البلد الناشيء الفتي الفياض قوة وحيوية قد احكمت حبائلها ووضعت خطة تنفيذها بمعرفة ديغول وكاترو ومن اختبر اميالها من اعضاء لجنة التحرر بناء على اقتراحات المندوب هيللو بعد زيارته للجزائر .

عاد الى العاصمة اللبنانية واخذ المسؤولون والرأي العام يترقبان منه كل مفاجئة على ان الحكومة الرياضية ضاعفت من فعاليتها الاستقلالية ومضت مسرعة في غاياتها السامية عانية بتحقيق ما علقت عليها البلاد وعقدت من امال . ففي السابع والعشرين من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٣ عدل الدستور للمرة الثانية واعدمت منه الفقرة التي تمنح اللغة الفرنسية ذات الصفة للغة البلاد القومية فاجمع النواب – باستثناء الاستاذ اده وبعض النواب – على تصديق هذا القانون واقرار الحكومة على مشروعها . فكان لهذا الهجوم اللبناني الثاني على امتن دعامة من دعائم التغلغل الفرنسي والسيطرة الاجنبية اثره البعيد القتال في دوائر المندوبية وبين

اوساط عشاقها ومواليها من العناصر الرجعية المتفسخة . ولا شك ان ما رأينا وسمعنا من استهلال وافتتاح لمشرق العهد الاستقلالي قد تبلور وتجسد بوحي وارشاد فخامة اللبناني الاول الشيخ بشاره الخوري . اذ انه ولي العهد والمسؤول الرئيسي من الوجهين الحقوقي والدولي عن التوجيهات العامة لسياسة حكومته ولم يقع اختياره على ساعده الايمن الرئيس رياض بك الصلح الا بعد ان اقتنع الاقتناع الكلي بانه (اي رياض بك) خير من يركن اليه في تنفيذ برنامج صممت فيه النية على التخلي نهائياً من سلطان دخيل فاسد .

وخلال الفترة الواقعة بين الثامن والعشرين من تشرين الاول من العام الذي ذكرنا وبين الحادي عشر من تشرين الثاني تركزت المشادة بين الحكومة الوطنية وبين المندوبية على استرجاع الصلاحيات التي كان يمارسها الاجنبي باسم لبنان مشكلاً ولحساب المصالح الاستعمارية فعلاً وعملاً . وكانت قضية استرداد الهيمنة اللبنانية على المصالح المشتركة تمشياً مع مبدأ السيادة والاستقلال وهي المصالح التي تعد من اخصب موارد خزينة المندوبية ومحور شؤون الساعة حينذاك والميدان الاول للصراع بين الحق والافتراء.

وفيما الامور تتابع مسيرها على هذا المنوال ، كان المستعمر يتربص بنا الدوائر ويكيد لاستقلال لبنان وحكومته في الخفاء ويتأهب لنفث زعافه في شرايين ومسالك هذا الكيان الطازج .

اول مؤامرة من نوعها

في التاريخ السياسي

لبنان في صميم المؤامرة ، يعيش ساعة من ادق واحرج ساعات وجوده كدولة استكملت اسباب الحياة في النشوء التاريخي . لبنان هذا البلد الذي لم يطالب بمدى حيوي ولم يدغدغ مطمعاً على حساب سيادة الغير ، لبنان هذا الوادع الامن موضوع اخطر واوحش دسيسة مرت على صفحات النزاع السياسي في التاريخ .

لقد رتب المستعمر كل شيء ولا ينتظر الا حلول ذكرى بارزة من ذكريات فخاره في الحياة لاحيائها والاحتفاء بها رقصاً وعربدة على قبر هذه البقعة الفتية الحية . وقد بلغ الهذيان من المسيو هيللو واعوانه درجة طار معها من فؤادهم كل منطق وصواب . فبعد ان كان المندوب الفرنسي قد وجه دعوة للحكومة اللبنانية للاشتراك في عيد ذكرى استسلام المانيا للمرة الاولى الذي يقع في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني من كل عام استرجع دعوته غضبة منه على المطالبة بالحق وانتقاماً من اصرار حكومة تأبى الا ان تؤدي رسالتها القومية على اكمل وجوه الامانة وان لا تخيب ثقة من اقامها ولية على مقدراته .

وكانت السياسة البريطانية تحاول التلطيف من حدة الجفاء اللبناني الفرنسي وتعمل على تفادي النتائج المترتبة على مثل هذه الحالة . فأقام الجنرال سبيرس ليلة ساهرة بمناسبة ذكرى الهدنة في دار البعثة البريطانية في بيروت دعا اليها المسيو هيللو او مندوب فرنسا الحرة فوق العادة كما دعا اليها الحكومة اللبنانية فأنابت لتمثيلها في هذه الحفلة وزير خارجيتها المغفور له معالي الاستاذ سليم تقلا تغمده الله باوسع الرحمات وظل وزيرنا الكريم الطيب الذكر حتى قبيل الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل الواقع بين الحادي عشر والثاني عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٣ يسامر المسيو هيللو ويجاذبه من الحديث اشهاه والذه ومع ذلك فالمستعمر المغتصب اراد الا ان ينفذ مكيدته والى ان يتأثر بابسط مبادىء التهذيب الاجتماعي فما ان انصرف وزيرنا الاستاذ تقلا من دار البعثة البريطانية وكان السفير هيللوقد اتم احتساء الجرعة الاخيره والثمالة من زجاجة الوسكي حتى توجه رأساً الى بناية الامن الفرنسي فاجتمع مطولا بالمسيو غوتيه مدير الامن وباثنين اخرين من اعوانه احدهما برتبة جنرال وثانيهما برتبة كولونيل يتولى ادارة الشعبة الثانية للمخابرات السرية التابعة للجيش الفرنسي وعقب ما قرر في هذا الاجتماع وصدرت الاوامر الى افراد منظمة الامن وقادتهم بان لا يفضوا المظروفات المسلمة اليهم الا عندما تدق الساعة الرابعة من بعد منتصف الليل وان لا يتأخروا ثانية واحدة في تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم .

وفي الموعد المعين فضت المظروفات فاذا بها توجب على كل

عضو امن اعضاء فرقة الشعبة السياسية ومايعلقون عليها من اصطلاحات . هذه المؤسسة بمرافقة شرذمة من الجيش لاعتقال كل من : صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية ، دولة رياض بك الصلح رئيس مجلس الوزراء ، ودولة عبد الحميد كرامي الذي كان حينئذ نائباً في الندوة النيابية واصحاب المعالي الاساتذة : كميل شمعون، سليم تقلا ، عادل عسيران وان يتم اعتقالهم في وقت واحد وثانية واحدة .

وفي الواقع فقد اذعن هؤلاء للاوامر الصادرة اليهم ومضى كل منهم في سبيل مهمته ففاجأوا دعائم لبنان المستقل في اسرتهم، مصوبين عليهم الرشاشات والبنادق والمسدسات وكانت اسلاك الهاتف قد قطعت عملا بتعليمات السفير هيللو وابلغوهم ان الامر قد صدر باعتقالهم وسيقوا جميعهم الى مكان لم يعرف الا فيما بعد . ومن طريف ما يذكر في هذه المناسبة هو ان دولة الاستاذ عبد الحميد كرامي قد اقتيد في سرواله الداخلي ولم يترك له المجال باحضار جهاز اسنانه اي المعروفة باللغة العادية « وجبة السنان » .

وفي صبيحة الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ ، وجوم يغمر العاصمة اللبنانية ، البهتة تهيمن على كل زاوية من زواياها . شعور الاقتصاد للكرامة هو شعور واحاسيس كل لبناني والاسواق مقفلة وليس من حركة في المدينة الا الاصطدام بنيران رشاشات السنغال واحراق سيارات هؤلاء العبيد .

ازيز الرصاص من هنا وهناك ، المواطن اللبناني الاول يريد ان يثأر ولن يهدأ له بال الا بعد ان يعرف مصير قاداته وينتزع نصال

المغتصب من صدر الكرامة .

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني من العام الذي ذكرنا جاء في اذاعة راديو اوريان (محطة بيروت) انه لما عثر على وثائق وبينات تثبت ان فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية واعوانه من دولة رئيس الحكومة رياض بك الصلح وكبار الوزراء يتعاونون مع الالمان فقد اقتضى اعتقالهم وان الاستاذ اميل اده قد عين رئيساً للجمهورية .

ومن لذيذ ما تجدر روايته في هذه المناسبة هو ان السفير هيللو بعد ان ترك دار البعثة البريطانية في الليل المذكور واشرف شخصياً على ترتيب كيفية تنفيذ المؤامرة قصد منها الى دار الاستاذ اميل اده حيث واصل الاجهاز على اكواب الخمرة وبشره بانه اي الاستاذ اده سيحقق غداً امنيته ويتربع للمرة الثانية فوق سدة الرئاسة الاولى في البلاد . وفي الواقع فقد جاء الرئيس المرتجل الجديد على متن مصفحة فرنسية تواكبه ثلة مسلحة من السنغال شاهرة رشاشاتها الى سراي البرج . وكان اول عمل قام به ان اخذ ينقب عن دميات يشكل منها حكومة صرحية فلم يفلح الا بمن تبخر الضمير من افئدتهم .

وفيما كان المسيو هيللو يضحك في باطنه ضحكة الحشرجة والاستاذ اده يهزأ من نفسه لقبوله القيام بهذا الدور في مهزلة قصيرة العمر ، كان ممثلو البلاد من اعضاء الندوة اللبنانية يعقدون اخطر جلسة في تاريخ وجودهم البرلماني في دارة الاستاذ صائب سلام ويقررون اقامة حكومة شرعية اتخذوا من قرية بشامون

ومغاورها وصخورها مقراً لها .

وغداة هذا اليوم التاريخي الخالد في سجل النضال القومي ، تشكلت حكومة بشامون الشرعية برئاسة الاستاذ حبيب ابي شهلا وبعد منحها الثقة من ممثلي لبنان الشرعيين اصدرت قرارها الاول طالبة الى اللبنانيين كافة عدم الاذعان لاي قرار تصدره حكومة الاستاذ اميل اده وان حكومة بشامون هي وحدها الهيئة المسؤولة الشرعية في لبنان . وفي الواقع لم يخيب هذا البلد الابي ثقة هذه الحفنة من قادته وزعمائه فاشهرها حربا لا هوادة فيها بوجه المتآمر المفتري و كانت الفترة الممتدة بين الثاني عشر والثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني عبارة عن صراع ، على اعنف ما يكون الصراع من الضراوة والقساوة بين جنود الاستعمار وبين اشبال الارز . فلم يكن من ميزة وفارق لهذه الحقبة القصيرة من الوقت الا تبادل ازيز الرصاص بين السنغال وضباط من الفرنسيين وبين ابناء كل دسكرة وبلدة ومدينة في لبنان .

واما في بشامون فقد كان وضعها وضع جبهة حربية بكل ما في هذه الكلمة من مدلولات . فالحرس الوطني المسلح وراء استحكاماته مصوباً رشاشاته وبنادقه الى صدور قوات المغتصب المتآمر . وعطوفة الامير مجيد ارسلان الذي انيط به امر الدفاع عن حكومة بشامون يثب من هضبة الى اخرى متفقداً حالة الجبهة وقد حدثت في تلك الاثناء اصطدامات عديدة مع مصفحات الفرنسيين التي حاولت خرق الخطوط الدفاعية الامامية عن حصن بشامون فحطم ما حطم منها ورد السليم مدحوراً على اعقابه .

وكان شعار حكومة بشامون ان لا سبيل لحل وتسوية للموقف الا بالافراج عن رئيس الجمهورية والحكومة واعوانهما من الوزراء والنواب واعادة الاوضاع الدستورية .

ولما يئس الفرنسيون من هذه التجربة وايقنوا ان اللبنانيين مستعدون لاثارتها حرباً لا تذر ولا تبقي او بالرضوخ الى مطالبتهم الحق ، شرعوا بمحاولة سياسية جديدة ظناً منهم انه بهذه الوسيلة يستطيعون مساومة من المساومات على حساب السيادة اللبنانية فانتدبوا الجنرال كاترو لتولي مهام التسوية . فجاء هذا الاخير قادماً من الجزائر واجتمع فوراً بفخامة الرئيس الاول في قلعة راشيا ، وعرض عليه مقترحاً يقضي باعادته الى منصبه على ان يعهد بالحكم لشخصية اخرى غير رياض بك فرفض فخامته هذه المساومة واجابه صريحاً حازماً ان لا حل ولا تسوية ولا معالجة ولا وسيلة لانهاء الازمة الا باعادة الاوضاع الدستورية على ما كانت عليه قبل اعتقاله واعتقال كبار اعوانه . وهنا تمخضت عبقرية الجنرال كاترو عن محاولة اخرى فطلب الاجتماع باعضاء حكومة بشامون واضطلع بالتمهيد لهذا الاجتماع عن الجانب الفرنسي كل من المسيو بار والجنرال اوليفا روجيه الذي كان برتبة كولونيل في ذاك الحين وتم الاجتماع في دار صهر الامير مجيد ارسلان في الشويفات . وقد تولى مفاوضة الجنرال كاترو الاستاذ حبيب ابو شهلا بالنيابة عن حكومة بشامون وخرج استاذنا في هذه المرة عن وداعة لهجته وافهم كاترو جهراً وتحديداً ان ليس من مشروع يقدر له النجاح الا بالافراج عن فخامة رئيس الجمهورية فاجابه الجنرال

كاترو بلهجته الاستعمارية انني اقبل بكل اقتراح وانما لا اريد ان يكون الحل حل الجنرال سبيرس فرد عليهم الاستاذ ابو شهلا اورئيس حكومة بشامون قائلاً : « فليكن حل الجنرال كاترو وليس من سبيل للتفاهم الا على اساس ما قدمنا من شروط وعروض واضاف قائلا على ان تذهب ياحضرة الجنرال شخصياً وترافق فخامة الرئيس في طريقه الى المقام الذي اختارته له البلاد .

وبهذا تختم مأساة بشامون

وعقب مخابرات عدة بين كاترو ورئيسه ديغول لم تكن ثمة مندوحة عن الاذعان لارادة وصرخة العدالة الحق . فافرج في الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني عن فخامة الشيخ ودولة رياض بك واعوانهما وحدث بعد ذلك ولا حراجة عن مدى الفرصة والبهجة والغبطة التي عمت لبنان من اقصاه الى اقصاه .

واذا كان لنا من كلمة نقولها في هذه المناسبة ، هو ان لبنان على اختلاف طوائفه ومنظماته واحزابه من سياسية ودينية وادبية واقتصادية وتجارية وصناعية انصهرت في بوتقة واحدة وانقضت مجمعة على مطلب واحد فرد : الثأر للسيادة ولا حياة لا بالاستقلال والكرامة والحرية .

واما الدول العربية فلها في هذا المضمار ما نذكره عنها بفخر واعتزاز فحكومات القاهرة والرباض وبغداد وعمان وصنعاء وجهت مجتمعة ومنفردة انذاراً الى فرنسا تهددها فيه باتخاذ تدابير عسكرية

واجراءات سياسية يقضي بموجبها على مصالح فرنسا في العالم العربي اذا لم يبادر بسرعة الى طأطأة الرأس الدخيل تحت اقدام العدالة واعادة الحق الى نصابه (اي الافراج عن رئيس الجمهورية وحكومته) وكانت تلك الانذارات من الصرامة بحيث هددت الفرنسيين بالتدخل عسكريا لازالة اسباب الازمة القائمة في لبنان . وفيما يتناول الشقيقة سوريا فلسنا بحاجة للتحدث عن نصرتها فمحنة لبنان محنتها وسعادته سعادتها .

واثر الافراج عن فخامة الشيخ واعضاء حكومته نقل المسيو هيللو من بيروت برتبة مندوب للجنة التحرر الفرنسية في مكان لم يعين من الشرق الاوسط كما نقل جميع معاونيه من ابطال المؤامرة وحل محله بعد فترة من الوقت الجنرال بول بينيه . والبرلمان اللبناني من جهة بلغ من التسامح حداً بحيث اكتفى بفصل الاستاذ اميل اده من عضوية الندوة اللبنانية .

استأنفت الحكومة الرياضية الاولى بعد ان ظفرت في دك مؤامرة هيللو وتقويضها من صرحها نشاطها في الحقلين الداخلي والخارجي ففي الحقل الاول جعلت تواصل بعناية بالغة مفاوضاتها مع الجانب الفرنسي لاستلام المصالح والصلاحيات التي كان يمارسها المنتدبون لحساب لبنان على اساس عدم الاعتراف باي مركز ممتاز لفرنسا في هذا البلد ورفض كل مساومة او محاولة تهدف الى ترضية سياسية للفرنسيين مقابل تنازلهم عن صلاحيات وحقوق لم تبلغهم الا عن طريق الاغتصاب والقوة . فانتهج الجانب الفرنسي خطة التعنت والتسويف قاصداً بذلك الانتفاع من الوقت

ومؤملاً نفسه بفرصة تأتيه عن طريق تطورات الظروف الدولية وما فيها من احتمالات ومفاجآت . فكان لا يتنازل عن مصلحة الا عقيب ازمة وبعد جدل طويل ومغالطات محشوة بمختلف الالوان . وبالرغم من تعاريج هذا النهج والتواءاته فقد ثابرت الحكومة الرياضية مستمدة حزمها من تشجيع فخامة اللبناني الاول وتأييده ومن ثقة المجلس والامة . فتمت لها الغلبة على العراقيل التي وضعها الفرنسيون في طريق المفاوضات الجارية ووفقت في تسلم القسم الاكبر من المصالح الرئيسية التي كانت تديرها المندوبية باسم لبنان ولاسيما المصالح المشتركة بيننا وبين الشقيقة سوريا . وقد وقع البلدان اي لبنان وسوريا اتفاقية لادارة الجمارك وسكة الحديد وما يتفرع عنها من مرافق اخرى امدها سنة قابلة للتجديد من نفسها اذا لم ينقضها احد الطرفين واختير على اشراف امر هذه المصالح هيئة اطلق عليها المجلس الاعلى للمصالح المشتركة تعقد جلساتها وتتابع اعمالها ستة اشهر في بيروت وستة اخرى في دمشق .

الواقع ان مهمة الحكومة اللبنانية مهمة دقيقة شاقة للغاية فعملها لم يكن مجرد مواصلة فعالية سياسية او ادارية فحسب بل كان عليها ان تقوم بالضخم الجسيم من العمل الانشائي ولا نعتقد ان هنالك عملاً اكثر جبروت من تكوين بلد تكويناً استقلالياً ومقاومة خصم لم يكن بالخصم اللين السهل ومواجهة مؤامرات اشترك في اعدادها اكثر من عنصر دولي واحد . ثم كان على الحكومة الرياضية الاولى ان تقابل ايضاً حالة خارجية على اشد ما تكون الظروف

من الحراجة والتعقيد والملابسات والى جانب هذه الفعالية المحاطة بمختلف انواع المصاعب في الحقل الداخلي .

وفاتنا ان نذكر ان منظمة الامم المتحدة بعد ان عهدت الى لجنتها السياسية بدراسة توصيات لجنة التحقيق المشتركة واتخاذ قرار في صددها افضى تبادل المذاكرة ووجهات النظر بين اعضاء هذه اللجنة الى تصديق مشروع التقسيم بالرغم عن الجهود الجبارة التي بذلها ممثلو الدول العربية في ليك ساكسس فرفع تقدير اللجنة السياسية الى المجلس العمومي لهيئة الامم ونال مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية اغلبية الاصوات . وابتدأ بذلك الصراع العلني المنظم بين الصهيونية والعرب . وكان لبنان ورئيسه في المقدمه وفي طليعة الدول العربية التي ساهمت ، رجالا ومالا في تشكيل جيش الانقاذ بقيادة فوزي باشا القاوقجي لتحرير فلسطين من الاجرام الصهيوني .

كانت حكومتنا في مقدمة الحكومات الشقيقة مسعى وهمة لتأسيس جامعة الدول العربية وتذليل الصعوبات التي كانت تعترض متابعة السير في منعرجات هذا السبيل .

فبينما كنت تسمع رياض الصلح قدطار الى بغداد اذا به في العشية او الصباح ضيفاً على حكومة القاهرة او الرياض . والحق يقال انه كان للبنان الفضل الاكبر في تعديل ميثاق الاسكندرية وابرام ميثاق القاهرة الذي شيد على نصوصه بناء الجامعة العربية ويلخص ميثاق هذه المنظمة الدولية الاقليمية في تبادل التعاون

بين الدول والاعضاء والتكتل ضد كل اعتداء خارجي على احداها ضمن المحافظة على سيادة واستقلال كل منها . وجاءتنا الحوادث والاحداث باكثر من دليل وبينة على ثمرات وفوائد هذا العمل الخالد . لنعود الان لى متابعة تطورات الحالة الداخلية بالنسبة الى المفاوضات التي كانت جارية مع الجانب الفرنسي . فقد سلم هذا الاخير بالتنازل عن كافة المصالح الادارية التي كان يتولاها لحساب هذا البلد ويمارسها باسمه ، ولكنه اشترط لاعادة الجيش اللبناني الى دولته ان يعترف لفرنسا بامتيازات اقتصادية وسياسية وثقافية اي ان يعقد معها معاهدة تمنحها الاولية على كافة الدول الاجنبية التي تشدنا اليها علاقة من العلاقات . فكان في هذا الشرط عقبة جديدة اثارها الفرنسيون للانتفاع من الوقت ولمضاعفة المماطلة عل السماء تمطر عليهم فرصة من الفرص فانقطعت المفاوضات وهددت الروابط بين لبنان وفرنسا مجدداً وفرضت على هذا البلد ازمة جديدة ، ومضت فترة من الوقت اخذ خلالها كل من الجانبين يعمل منفرداً بانتظار النحو الذي تنتهي عليه هذه المشادة . ومضى الفرنسيون من جهتهم في محاولات يهدفون من ورائها النيل من سيادة لبنان وعدم الكف عن هذا الاعتداء الا بترضية سياسية تكيف بمطامعهم التي لها في كل يوم من الالوان غريبها وعجيبها .

وخلاصة القول امتحنت اعصاب الحكومة الرياضية الاولى بمختلف التجارب وكانت في كل تجربة تقيم دليلاً جديداً على انها لا تقبل مهاودة وتراخياً في مهمتها الاستقلالية وانها تريد اداءها على اكمل الوجوه ولو كلفها ذلك حرباً فعلية مع الفرنسيين . وقد تنازلت عن

الحكم استجابة لمقتضيات السياسة الداخلية بعد ان وضعت اسس ودعائم العهد الاستقلالي فاسحة المجال لغيرها من رجالات البلاد لمواصلة الاضطلاع بواجبات هذه المهمة الثقيلة . فشكل دولة الاستاذ عبد الحميد كرامي بناء على تكليف فخامة رئيس الجمهورية الحكومة الوطنية الثانية لفجر هذا العهد المشرق . ولم يكن سماحته بالغريب عن ميادين النضال القومي ، فاتخذ من ميثاق الاستقلال اساساً لفعالية حكومته السياسية في الحقلين الداخلي والخارجي ولم تكن طريقه بأقل وعورة من الطريق التي سارت عليها الحكومة السالفة .

فالفرنسيون ما برحوا يتابعون نهجهم المألوف وما زالوا على مماطلاتهم وتسويفاتهم لا يتنازلون عن شبر بعد الجهد الجهيد فشعارهم ابداً ودائماً منح فرنسا مكانة ممتازة في لبنان تضمن لهم الابقاء على نفوذهم الاولي والسياسي في هذا البلاد وشعار لبنان : لا مركز ممتاز لاية دولة اجنبية عندنا ونريد ان ندخل مؤتمر سان فرنسيسكو احراراً وطليقين من جميع الالتزامات .

وفي الواقع فقد انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو ودعي لبنان كدولة اشهرت الحرب على المانيا للاشتراك في مباحثاته . وفاتنا ان نذكر ان لبنان اعلن الحرب على المانيا في الثالث عشر من شهر اذار عام ١٩٤٥ في عهد حكومة الاستاذ عبد الحميد كرامي . وقد مثله في مؤتمر الامم المتحدة معالي الاستاذ وديع نعيم الذي كان وزيراً للداخلية في تلك الاثناء واشترك في الوفد اللبناني دولة الاستاذ عبدالله اليافي بوصفه عضواً في الندوة البرلمانية وانتهى هذا

المؤتمر وكان بلدنا الفتي هذا بين الدول التي ساهمت في وضع اسس منظمة الامم المتحدة . واستؤنفت مفاوضات تسلم الجيش مع فرنسا ولم تكن مغالطات الجانب الفرنسي ومساوماته تختلف عما كانت في الماضي الا ان الظروف اكرهت في هذه المرة ممثلي الانتداب على اعادة جيش كل ما فيه لبناني الى الدولة الام وقضت الاتفاقيات التي وقعت بين الطرفين في ذاك الوقت على ان يسلم الجيش مرحلة فمرحلة وكان الفرنسيون لا يزالون يأملون في المفاجآت وارادوا بهذا الشرط او الاسلوب في اعادة الجيش الانتفاع ايضاً من الوقت فسلموا الحكومة اللبنانية في اول الامر قطعة لا يزيد عدد جنودها عن الالف والثلاثماية وواصلت حكومة الاستاذ كرامي السير على غرار سلفها في الحقل العربي .

وقد اضطرت الى دعوة مجلس الجامعة للانعقاد في جلسة استثنائية نظراً لاقدام الفرنسيين على خرق سيادة لبنان وانزالهم جنوداً من السنغال على الارض اللبنانية دون استئذان حكومتها ولرفضهم ايضاً كما سبق وذكرنا التنازل عن الجيش اذ ان الاتفاقية التي قضت بتلسيمنا القطعة العسكرية الاولى لم تبرم وتنفذ الا بعد ان انذر مجلس الجامعة الحكومة الفرنسية باتخاذ تدابير قاسية وعقوبات ضد مصالحها في اجزاء العالم العربي . ومما تجدر الاشارة اليه في هذه المناسبة هو ان لبنان اظهر شخصيته وحرصه على ميثاق الجامعة العربية في اكثر من مناسبة على عهد هذه الحكومة وكان وزير خارجيتها من ابرز من سعوا وعملوا لازالة التوتر الناتج عن مشروع سوريا الكبرى في ذاك الحين . وقد كان لوقفاته

اثرها الاول في اتخاذ مجلس الجامعة قراراً تعهد اعضاؤه بموجبه بعدم ادخال موضوع سوريا الكبرى في جدول ابحاث هذا المجلس .

وخلاصة القول ان حكومة الاستاذ كرامي قد قامت بواجبها وساهمت بقسط وافر في المهمة الاستقلالية واستكمال اسباب ومظاهر سيادة هذا البلد الناشىء . وعقبها في مقاعد الحكم دولة الاستاذ سامي بك الصلح الذي شكل الحكومة الثالثة لهذا العهد الميمون . فانبرى يتابع السير على غرار سلفيه جاهداً عاملاً في اكمال جهاز السيادة اللبنانية . وقد اتفق خلال وجوده على المقعد الاول للحكومة اللبنانية ان وقع اتفاق بين المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا وبين المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا تضمن اعتراف حكومة لندن لفرنسا بحق المحافظة على الامن والسهر في سوريا ولبنان . كما بادلتهم حكومة باريس الاعتراف لبريطانيا بحق المحافظة على الامن في المناطق الخاضعة لنفوذها من بلدان الشرق الاوسط . وهذا يعني ان حكومتي لندن وباريس اتفقتا على الاحتفاظ بقواتها في هذين البلدين تحت ستار المحافظة على الامن الدولي وبانتظار ما سوف تقرره منظمة الامم المتحدة على زعم الدولتين المذكورتين للمحافظة على السلم في هذه البقعة من العالم فكان لهذا الاتفاق وقعه السيىء البعيد الاثر في سوريا ولبنان واتفقت الكلمة بين حكومتي البلدين على ان ترفع شكوى على بريطانيا وفرنسا الى مجلس الامن الدولي .

وفي الواقع فقد قدمت هذه الشكوى في اوائل اذار عام ١٩٤٦ الى مجلس الامن ورئيس الوفد اللبناني الى لندن حيث انعقدت

هذه الهيئة، معالي الاستاذ حميد فرنجيه الذي كان وزيراً للخارجية في حكومة الاستاذ سامي الصلح وبعضوية كل من رياض بك الصلح كميل بك شمعون والاستاذ يوسف سالم الذي كان وزيراً للداخلية في الحكومة المذكورة كما مثل الوفد الفرنسي المسيو بيدو والوفد البريطاني السير الكسندر كادوغان . وعبثاً قام البريطانيون والفرنسيون باقناع وفدي الحكومتين بالعودة عن شكواهما وسحبها من مجلس الامن فنبذا هذه المحاولات العقيمة واصرا على متابعة الدعوى وبعد ان عقد مجلس الامن ثلاث اجتماعات متوالية للنظر بشكوى الحكومتين اللبنانية السورية اتخذ قراراً بالاعتراف للبلدين بحق المطالبة بسحب القوات الاجنبية عن ارض بلادهما باعتبارهما من اعضاء هيئة الامم المتحدة المعترف لهما بالاستقلال والسيادة لا سيما وان ميثاق هذه المنظمة يحرم على قوات تابعة لاحد اعضائه بالتمركز فوق ارض عضو اخر دون موافقته ورضاه على ان قرار مجلس الامن نصح الطرفين المتخاصمين باستئناف المفاوضة فيما بينهما للاتفاق على صيغة لاجلاء قوات فرنسا وبريطانيا عن ارض سوريا ولبنان واطلاعه على نتائج هذه المفاوضات في مدة لا تتجاوز موعد انعقاد دورته الثانية فشرع بادىء بدء بالمفاوضات بين الطرفين في لندن اي بين لبنان والفرنسيين والانكليز وكانت القوات الفرنسية المنسحبة من سوريا بعد المجزرة التي قامت بها في الثلاثين من ايار عام ١٩٤٥ واخطار تشرشل الذي كان حينئذ رئيساً لحكومة لندن باصدار امره المشهور للجيش التاسع بالتدخل لمنع الفرنسيين من مواصلة اعمالهم العدوانية في سوريا، نقول ان المفاوضات بدأتها

في لندن وانتهت بان تعهدت بريطانيا باجلاء اخر جندي عن ارض لبنان وسوريا في التاسع من حزيران عام ١٩٤٦ . ثم ما لبثت تلك المفاوضات ان افضت الى نتيجة ايجابية مع حكومة باريس وقد رفض الاستاذ كميل شمعون الذي كان وزيراً مفوضاً للبنان لدى بلاط سان جيمس الشخوص الى باريس في حين ان سائر اعضاء الوفد نزولا عند طائفة من مختلف الاعتبارات وتسهيلاً لمهمتهم قصدوا الى باريس مجاملة للفرنسيين واستغرق الاخذ والرد بين الطرفين قرابة نيف و٦٠ يوماً ولم تنته المباحثات وتسفر عن نتيجة الا في شهر نيسان اذ وقع كل من معالي الاستاذ حميد فرنجيه بوصفه رئيساً للوفد اللبناني والمسيو بيدو بوصفه ايضاً رئيساً للوفد الفرنسي اتفاقية تتعهد فرنسا بموجبها باجلاء جيوشها في اول آب عن ارض لبنان من عام ١٩٤٦ على ان يتم اجلاء الفنيين العسكريين في اليوم الاخير من كانون الاول من العام المذكور . وبهذا تنتهي رواية الوجود الفرنسي في لبنان بعد ربع قرن من عذاب مرير .

ومما امتاز به عهد حكومة صاحب الدولة سامي بك افتتاح فخامة اللبناني الاول حملة العرب على الصهيونية . وكلمة نسوقها للحق والتاريخ هو ان فخامته كان اول رئيس لدولة عربية قام يطوف في كل منطقة ودسكرة من لبنان يتحدث فيها بين جموع الاهلين عن مطامع الصهيونية ويحذر اللبنانيين خاصة والعرب عامة من ويلات هذه الطغمة من شذاذ الافاق ويعلن على رؤوس الاشهاد ان لبنان يضع نفسه وكافة امكانياته تحت تصرف فلسطين لانقاذها من مؤامرة محتمة ومن مخالب آثم شرير فالهب الحماس في

نفوس اللبنانيين واذكى شعورهم وخلق جواً تتطاير شرر الغضبة من ثناياه وطياته فكان لهذه البادرة من فخامته الى جانب العمل الجبار الذي قام به في سبيل انهاء عهد الاستعمار وتحرير لبنان من السيطرة الاجنبية وفرضه دولة لها كيانها ومكانتها المرموقة بين مجموعة الامم الراقية اثرها البعيد العميق في ايقاظ جذوة الحركات الانعتاقية التي ما زالت تتسع وتنمو في مختلف اقطار العالم العربي.

ففي عهد حكومة دولة سامي بك الصلح دشن فخامة اللبناني الاول اشهار العرب شعوباً وحكومات الحرب على الصهيونية وتصميمهم على احراق احلامها ومطامعها وقد تم على ايدي الحكومة « السامية » تسلم ما تبقى من مصالح الى ذاك الحين في ايدي الفرنسيين .

ومما نذكر من هذه المصالح — السراي الكبير رمز السلطان الاجنبي لدخيل سابق ووكر مؤامرات ودسائس الانتداب وقد اصبحت اليوم شعار السيادة وراية الاستقلال . كما تم في عهده استلام محطة الاذاعة ، والشبكة التلفونية وحسبه فخراً ان يكون الجلاء العسكري الاجنبي قد تحقق في عهده .

ومنذ ان قضت السياسة المحلية — والتكتيك البرلماني — بمغادرته مقاعد الحكم فما برح يواصل من تحت قبة الندوة النيابية جهاده في سبيل الدفاع والذود عن القضايا العامة ويندر ان تمر حادثة لها صلتها بحقوق البلاد الا ويكون في الطليعة دفاعاً عنها ان سلباً وان ايجاباً .

بعد استقالة دولة سامي بك الصلح من الحكم كلف دولة السيد سعدي المنلا بتشكيل الوزارة تلبية لرغبة فخامة اللبناني الاول واستجابة لمقتضيات الظروف المحلية وتطوراتها . ولا يفوتنا ان نذكر ان قضية فلسطين وما رافقها من ملابسات واتجاهات كانت حينذاك وما زالت حتى هذه الاونة تحتل المقام الاول من مشاغل الدول العربية . ففي الحقل الداخلي واصلت حكومة المنلا السير على غرار سابقاتها من حكومات العهد الاستقلالي ، فمضت ناشطة عاكفة على تحقيق ما يسرته لها المناسبات من المشروعات الانشائية والاصلاحية . واما في الحقل الدولي . فلم تخرج فعاليتها عن التي رسمها الميثاق الاستقلالي فكانت قضية فلسطين قد طرحت على بساط السياسة الدولية واصبحت مشكلة رئيسية فبعد فشل مؤتمرات لندن المتوالية واصرار الدول العربية على عدم القبول بحل لهذه المعضلة الشائكة المعقدة الا على اساس الاعتراف باستقلال هذا القطر دولة عربية موحدة وبعد ان خابت امال حكومة لندن في جمع العرب واليهود حول مائدة واحدة ، رجع بهذا الوضع الى منظمة الامم المتحدة فاوفدت هذه الهيئة لجنة تحقيق تضم قضاة من الانكليز والاميركيين دعيت باللجنة التحقيق الانكلو اميركية المشتركة مهمتها التنقيب عن حل للمشكلة اليهوديه العالمية والتقدم بمقترحات لمعالجة الوضع المضطرب القلق في فلسطين على اساس تسوية تهدف الى الاستقرار . فانبرت هذه اللجنة على اداء مهمتها وكانت ميول القسم الاميركي من اعضائها صريحة في نزعاتها الصهيونية عاملة على تحويل كل عنصر من عناصر هذه القضية الى ما يحقق امال الوكالة

اليهودية في تكوين دولة للمتشردة والشذاذ على حساب الحق والعدالة .

وخلاصة القول اتمت هذه اللجنة طوافها في اوروبا ثم جاءت الى مصر وفلسطين وبيروت ودمشق واستمعت الى وجهة النظر العربية عن طريق اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة باختتام جلسات مؤتمر عقد في فندق صوفر الكبير (المصيف اللبناني المعروف) ثم عادت الى نيويورك بعد ان كانت وضعت مقترحاتها في جنيف ورفعت تقريرها الى منظمة الامم المتحدة مقترحة تقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية فكان لتوصياتها هذه اثرها البعيد السيء في الاندية العربية وهب العرب كلمة واحدة يستنكرون بكل نذير ووعيد ما تضمنه تقرير اللجنة الانكلو اميركية . واجتمع على الاثر حول مائدة واحدة في زهراء انشاص في ضواحي القاهرة ملوك ورؤساء الدول العربية ونبهوا علانية وجهراً في بلاغ رسمي الرأي العام الدولي الى مغبات واخطار الاخذ بمشروع تقسيم فلسطين الى دولتين وكان لبنان الممثل بفخامة رئيسه الشيخ بشاره الخوري في هذا المؤتمر اول من رفض رفضاً باتا جميع ما تضمنه تقرير لجنة التحقيق المشتركة من حلول وتسويات للنزاع القائم في فلسطين . وما لبث مجلس الجامعة العربية فور ارفضاض هذا المؤتمر الذي اختتم جلساته في الثلاثين من شهر ايار عام ١٩٤٦ ان افتتح الجلسة الاولى لدورته الاستثنائية في الثامن من حزيران من ذات العام واتخذ طائفة من المقررات الخطيرة في فندق بلودان (المصيف السوري) اعلن بعضها وظل البعض الاخر سراً مكتوماً .

وفي التاسع من حزيران المذكور قام فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية بناء على دعوة فخامة رئيس الجمهورية التركية بزيارة هذا البلد مصطحباً معه دولة رئيس حكومته السيد سعدي المنلا . ولا شك ان هذه الزيارة التي بورت غايتها تحت ستار الود والمجاملة كانت فاتحة لعهد تعاون بين العرب والاتراك وكان في مقدمة ما اعلن فيها على الرئيسين اللبناني والتركي ان البلدين هما على اتم ما تكون العزيمة من التصميم في الدفاع عن الوضع في شرقي المتوسط ولم تكن المطامع الصهيونية الا في مقدمة من قصد بهذا الوعد اللبق الصريح . وبهذا تقفل حكومة دولة السيد سعدي المنلا ابواب نشاطها واعمالها وتفسح المجال لغيرها من رجالات البلاد لمتابعة السير بالسفينة العامة الى شاطىء الامانة في هذا الخضم الهائج الصاخب .

فدعي دولة الرئيس رياض بك الى تسلم مقدرات الحكم مجدداً كان ذلك في مطلع عام ١٧٤٧ فلبى الدعوة واشرك في حكومته ابرز الممثلين لكل الندوة البرلمانية وكان عليه حينئذ ان يعد الاسباب والمقدمات لاجراء الانتخابات النيابية العامة . وصادف في ذات الوقت ان توفي الدكتور ايوب ثابت عضو المجلس النيابي ولم يكن يفصلنا عن موعد انتهاء وكالة هذا المجلس التمثيلية الا بضعة اسابيع يجيز الدستور للحكومة بالنسبة لمدتها حل الندوة وعدم الاضطرار لملء المقعد الشاغر بنائب جديد . وفي الثاني من شهر نيسان عام ١٩٤٧ صدر قرار بحل المجلس ودعيت البلاد الى صناديق الاقتراع في الخامس والعشرين من شهر ايار . وبعد ان تم تشكيل المجلس الجديد قدم دولة الرئيس رياض بك الصلح استقالته عملاً

بالتقاليد الدستورية وعهد اليه مجدداً بتشكيل الوزارة فاختـار اعضاءها من الهيئة البرلمانية المنبثقة عن الانتخابات العـامة ومضى واعوانه بارشاد فخـامة اللبناني الاول يحصرون همهم في اعداد حملة تحرير فلسطين من براثن المطامع الصهيونية ، ففتحت مكاتب التطوع للاشتراك في تجنيد تعبئة حملة الانقاذ على مصراعيها في كل اقليم من اقاليم لبنان واختصت الحكومة تمويل اعمـال الانقاذ بمليوني ليرة اقتطعتها من الموازنة العامـــة وفرضت على المكلف اللبناني ضريبة اضافية لتغطيتها . واقبل اللبنانيون في حماس ملهب صادق على المساهمة فيما اعد من خطط ومشروعات عسكرية ومالية لانقاذ فلسطين الذبيح .

وكان لبنان في مقدمة من وضـع مقررات اللجنة السياسية لمجلس الجامعة التي طوقت بموجبها حدود فلسطين من الجيوش العربية النظامية واصبحنا بذلك على اهبة حرب فعلية ليس ضد الصهيونية فقط ، وانما ضد اميركا وروسيا اذ ان كل منهما قـاد تيار التقرير الدولي بتأييد مشروع تقسيم فلسطين والانتصار لفكرة الدولة اليهوديـــة .

وما دمنا في معرض ايجاز البارز من اعمال الحكومة اللبنانية القائمة فلا نشعر بأساً في الانتقال الى موضوع اخر . اذ الى جانب هذه الفعالية الرئيسية للبنان واشفاقه نصرة لفلسطين ، لم تتغافل حكومتنا عن اداء واجباتها في الحقل الداخلي الصرف

من المعروف ان الحكومـة الفرنسية كانت قد تعهدت في اتفاقياتها النقدية مع بريطانيـا عقب الخفض الاول لسعر الفرنك

بان يكون معادل كل ليرة لبنانية ٢٢ فرنكاً وانها على استعداد لتغطية الفرق النـــاتج عن هـذا الهبوط بالنسبة لمعادلات الليرة اللبنانية والفرنك المقررة بعـد الخفض الاول وفقاً للاتفاق المذكور .

وفي الواقع فقد سددت فرنسا ما لحقها من فروق بالنسبة لسعري الليرة اللبنانية والفرنك الى خزينتنا نتيجـة للخفض الاول الانف الذكر . ثم ما لبثت في مطلع اب عـام ١٩٤٧ ان بعثت بمذكرة الى الحكومة اللبنانية تنقض فيها ما تضمن اتفاقها النقدي مع بريطانيا من تعهدات وتعلن انها ليست مكلفة بتغطية اي فرق جديد ينتج عن خفض اخر لسعر الفرنك . فلم يكن من حكومتنا بالنسبة الى هذه المفاجأة التي تنال استقرار لبنان المالي في صميمـه الا ان اوفدت وزير خارجيتها معالي الاستاذ حميد فرنجيه بنـاء على مفاوضات سابقة الى باريس لمعالجة الحالة الناشئة عـن نقض فرنسا لتعهداتها المومأ اليه . وفي غضون شهر تشرين من عام ٩٤٧ قصد الاستاذ فرنجيه الى باريس حيث اتصل بالجـانب الفرنسي الممثل بوزير خارجيته المسيو بيدو وكان محور البحث يتناول النقاط الرئيسية التالية :

اولا : اقناع فرنسا بالاستناد الى اتفاقها النقدي الموقع مـع الحكومة اللبنانية بمواصلة ضمانتها لكل فرق ينتج عن هبوط جديد للفرنك بالنسبة لليرة اللبنانية .

ثانياً : الاتفاق على ما ينبغي ان تدفعه الخزانة اللبنانية ثمنـاً للاملاك الفرنسية في لبنان .

ثالثاً : كيفية تسديد فرنسا للمبالغ المدينة بها لخزانتنا المتأتية عما استلفت من صندوق المصالح المشتركة .

رابعاً : الاتفاق على ضمانة قيمة الاوراق النقدية المتداولة في الاسواق اللبنانية بالنسبة للتغطية الذهبية التي أمن عليه لبنان الخزانة الفرنسية .

خامساً : خروج لبنان من كتلة الفرنك ام البقاء فيها ؟؟

تلك هي النقاط الرئيسية التي كانت موضع وموضوع مفاوضات استغرقت اربعة اشهر مع فرنسا . وقد افضت بالرغم عما رافقها من ازمات وسلبيات وبالرغم عما ارادته فرنسا من استغلال للموقف اشباعاً لمآربها السياسية ، الى ابرام اتفاقية مالية عامة بين الدولتين (لبنان وفرنسا) سويت فيها جميع المسائل والنواحي المختلف عليه على النحو الذي اسلفنا ذكره . وقد وقع اتفاقية التصفية تلك كما اطلق عليها الرئيس رياض بك الاستاذ حميد فرنجيه في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٨ بعد ان فوضته الحكومة في ابرامها . وقد عرضت هذه الاتفاقية على البرلمان الفرنسي في شهر حزيران من ذات العام فابرمها غير ان لبنان لانشغاله بقضية فلسطين ومساهمته في حملة تأديب الصهيونية لم تسع حكومته لاحالته على مجلسها النيابي حتى موعد صدور هذه الرسالة .

نعود بعد ذلك لمتابعة عرضنا الايجازي لفعالية الحكومة من الحقل السياسي وما يتصل منها باعداد الاسباب لانقاذ فلسطين من محنتها واحباط المؤامرة الصهيونية التي احكمت حلقاتها في واشنطن وموسكو .

لنا ونحن في موضوع هذه الرسالة ان نأتي تفصيلا او تلميحاً على التحدث بامور تتجاوز النشاط اللبناني الصرف وانما تمشياً مع مبدأ التسلسل وربط الحوادث بعللها ومسبباتها نكتفي بالاشارة الى انه عقيب تحرج الدفاع العربي الشعبي ضد الغزو الصهيوني وما شجع هذا الغزو باسلحة سوفياتية واميركية ، لم ترَ الدول العربية مندوحة عن التدخل العسكري واعطاء الصهاينة عظة تأديبية عنيفة على بربريتهم في فلسطين واستهانتهم بالامنين المسالمين وتشنيعهم باعراض النساء وعوراتهن ويجدر الذكر في هذه المناسبة هوا ان التدخل العسكري للدول العربية كان قد تحقق قبل الخامس عشر من شهر نوار عام ١٩٤٨ غير ان السبب في عدم الشروع به الا في هذا التاريخ يرجع الى ان السلطات البريطانية تعهدت بمسؤولية الدفاع عن الامن في فلسطين ضد كل اجنبي حتى الخامس عشر من انتهاء الانتداب على هذا القطر وتصفية ادارتها في تلك البقعة وقبل حلول هذه الاونة كان للبنان الدور الاساسي والاول في اعداد حملة التأديب اقتصاصاً من العدوان الصهيوني . وللتاريخ والحق نشهد ان فخامة الشيخ بشاره الخوري وساعده الايمن دولة الرئيس رياض بك الصلح كان لهما ابرز الاثر في توحيد القيادة العليا للجيوش العربية وفي تنسيق اعمالها . فقبل الخامس عشر من شهر ايار بقرابة اسبوع استأنفت اللجنة السياسية اجتماعاتها في القاهرة لدورتها الاستثنائية وقررت انتداب دولة رياض بك الصلح للتوجه الى عمان واقناع جلالة الملك عبدالله بتبني الصيغة التي وضعت في القاهرة للحؤول دون قيام الدولة الاسرائيلية فوق مهد السيد

المسيح وقبة المسجد الاقصى . وكان للمساعي التي بذلها رياض بك لدى المليك الهاشمي بمعرفة وموافقة فخامة اللبناني الاول نتائجها الايجابية المرتقبة اذ وافق جلالته على المقترحات التي عرضها عليه الرئيس الصلح وازيل كل ما كان بينه وبين المسؤولين السوريين من اسباب الجفاء واجمعت كلمة الدول العربية على ضرورة انقاذ فلسطين عقيب تدخل جيوشها وولى ملك الاردن القيادة العليا وانتهى الامر بان اقتحمت قواتنا المظفرة وكان الجيش اللبناني في مقدمتها حدود فلسطين ورفعت العدوان عن عرب هذا القطر ومازال زعماء دول الجامعة يواصلون مساعيهم في الحقلين العسكري والسياسي للحؤول دون قيام دولة صهيون ولاعلان فلسطين دولة عربية موحدة .

ولا بد لنا قبل اختتام هذه الرسالة من التنويه بانه الى جانب تلك الفعالية الضخمة التي قامت بها حكومات العهد الاستقلالي بتوجيه وارشاد فخامة الشيخ بشاره في الحقلين العربي والدولي ، نردد انه بالرغم عن هذا العمل الجبار والمجهود الضخم ، لم تتهاون حكوماتنا المتعاقبة التي تداولت الحكم خلال الخمس سنوات الاخيرة عن اداء رسالتها الاصلاحية والانشائية في الميدان الداخلي فالقرية اللبنانية التي كانت تشكو الافتقار الى المدرسة الابتدائية، سدت حاجتها واصبح الفتى القروي في مكنة من الانعتاق من قيود الامية وشق سبيله الى الحياة العملية والانتاجية عن طريق العلم والثقافة بفضل العدد الوفير من المدارس التي انتشرت في كل قرية من قرى لبنان نتيجة للسياسة الانشائية التي درجت عليها

حكومات العهد وفقاً لتعهداتها في الميثاق الاستقلالي . كما ان نشاطها الاصلاحي في هذا المضمار لم يقتصر على الناحية التعليمية فحسب ، بل امتد وعم كل مرفق من مرافق البلاد الحيوية فوزارة الاشغال العامة التي يشرف على مقدراتها معالي غبريال بك المر المعروف بمواهبه الاصلاحية المثمرة ما زالت تواصل بهمة وعناية تحقيق المشاريع الانشائية التي وعدنا ميثاق الاستقلال بتحقيقها . فالعاصمة اللبنانية هي اليوم موضع تجميل في كل منطقة وحي وشارع ، ومراكز الاصطياف ادخل عليها من التحسينات ما هو كفيل بتأمين رفاهية وراحة المصطاف مهما كان البلد او الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها من الرقي والاناقة . فشق من الطرقات وعبد منها ما جعل مصايفنا مرتبطة باحسن شبكة للمواصلات .

كما ان مشروعات الري لمضاعفة الانتاج الزراعي في لبنان واعداد هذا البلد بمحطة من خيرة محطات توليد الكهرباء لانارة كل دسكرة من دساكره هما في طريقهما الى التحقيق لاسيما بعد ان وافق البرلمان على المشروع الجبار الذي تقدم به الاقتصادي الكبير السيد جورج معاصري لتعميم الكهرباء في لبنان . وتولت وزارة الصحة من ناحيتها فتح عدد لا بأس به من المستشفيات في كل من المحافظات الخمس واصلاح ما كان يحتاج من هذه البيوتات الصحية الى الاصلاح والترميم . وما دمنا في هذا الصدد لا بد لنا من

الاعتراف والاقرار بالمساعي الصامتة التي قام بها وما زال يواصلها سعادة الاستاذ جورج بك حيمري في رفـع المستوى التعليمي في لبنان . وقد كان لاندفاعه وحماسته وحصافة رأيه واستقامة تفكيره الاثر البارز فيما قطعت البلاد من شوط مكافحة للامية وتعميماً للمدارس وليس هذا بالغريب على رجل اتخذ منـه فخامة اللبناني الاول كاتماً لاسراره وقيماً عاماً على دوائر الديوان الجمهوري .

نقول لقد كان لهذه الاعمال الباهرة التي حققت في اقصر مـا يتصوره الخيال من وقت لاخراج مثل هذه المشروعات الجسيمة في حقلي السياسة والعمران وقعها البعيد في النفوس فقدر اللبنانيون لرجل العهد فخامة الشيخ بشاره الخوري هـذا التفاني في سبيل بلده وشعبه وابى نوابهم الا ان يجددوا انتخابـه مرة ثانية للسدة اللبنانية الاولى ، تسجيلاً منهم للايادي البيضاء التي كانت لفخامته على اكتمال نمو هذه المرحلة من مشرق عهد السيادة والاستقلال .

ففي غضون شهر نوار اجتمع المجلس النيابي وعدل المـادة الدستورية التي لا تسمح بتجديد الولاية لرئاسة الجمهورية الا بعـد فترة ست سنوات تفصل تجديد الانتخاب عن مدة الولاية الاولى . وعقب تعديل هذه الفقرة من المادة التاسعة والثلاثين من الدستور اللبناني انعقدت الندوة البرلمانية دورة استثنائية وصوتت بالاجماع على تجديد ولاية فخامة الشيخ بشاره الخوري لمدة وكالتها ستة اعوام اخرى . وبهذا دلل اللبنانيون عن طريق مجلسهم التمثيلي على فتوة خلقهم ومتانته وعلى انهم جديرون بان يختصوا بالتضحية والخدمة

وانهم حريصون على مبادلة المثل بالمثل .

وبذلك نختم هذه الرسالة الموجزة التي اردنا من وضعها تدوين اضخم الوقائع والاحداث التي انبثق من تفاعلها وتوالدها هذا العهد الميمون الذي يرفرف ويخفق في اعلى جبينه علم السيادة والكرامة القوميـة .

كلمة

حول توجيهات فخامة اللبناني الاول

في الحقل القومي العربي

كان لبنان الى مـا قبل قيام العهد الاستقلالي الحاضر برعاية فخامة اللبناني الاول متهماً بالانكماشية وموضع شبهة من شقيقاته الدول العربية ومطمع انظار الاجنبي لاتخاذه معبر تغلغل الى صميم العالم العربي ؛ وكان يتولى امره حينئذ نفر من الرجعيين والمتفسخية وفئة ممن ضرب الله على بصرها تعتقد ان مكمن الخطر على لبنان في كل توجيه ينحو فيه الى توثيق حبال التعاون مع من جاوره من ابناء قومه وشركاء مصيره نسبة للدم والتاريخ فكان المستعمر يرى في هذا اللون من مواطن كتب عليه الذل والمسكنة فسحة خصبة لتغذية الحركة الانعزالية في هذا البلد وبالتالي لقطع كل صلة بينه وبين اجزاء المجموعة العربية وتقليص شخصيته عن طريـق حصر حيويته السياسية وامكانيات نموه في نطاق محلي ضيق لايعود الهاء رجالاته بالصراع حول منافع تافهة سطحية موصداً بوجههم

الابواب في سبيل اي انعتاق نحو الافاق وانطلاق الى بلورة مـا يجيش في صدر هـذا الوطن العريق بتاريخه الكبير بحضارته من آمال وشعور بحقه في حياة تليق بهذا التاريخ وتلك الحضارة .

فافضت هذه الحالة بطبيعة الاشياء وبديهياتها الى جعل لبنان منارة ولفظة مجهولة في قاموس العالم الخارجي. فقلما كنت ترى في موسوع جغرافي سياسي ذكرى للبنان او اي اثر لوجوده كدولة سطح المعمورة . وما زلنـا نذكر ان الاميركيين انفسهم الذين يعايشون العدد الغفـير من اللبنانيين كانوا ينعتون بيروت – العاصمة اللبنانية وابرز مدن الشرق – في رسائلهم وخطبهم المتبادلة مـع جاليتهم هنا بـ « سوريا بيروت » وقد ظلوا على جهلهم هذا بالواقع اللبناني من الناحيتين الجغرافية والسياسية حتى قبيل قيام هذا العهد . وماقلته عن الاميركيين في هذا الصدد تستطيع اطلاقه على كل بـلد اوروبي آخر اللهم الا الدوائر الاستعمارية التي تقوم مهمتها على معرفة كل بقعـة مهما صغر حجمها وشأنها من بقاع هذه البسيطة .

لبنان في مرحلة جديدة

هذا هو ايجاز حال لبنان الى ما قبل العهد الحالي :

انكماش تحويله عن مجرى تطوره الطبيعي ، حصاره بستار فولاذي وعزله عن العالم الخارجي ، تسميم روابطه مع اخوانه العربيات ، وتحكم طبقة من المرتزقة والمتشردة بمقدراته وفتح ابوابه على مصراعيها للغزو الاجنبي .

وليتصور المرء بعد ذلك ما هي الصعوبات التي لاقاها سيد العهد الاستقلالي واعوانه في سبيل تكوين لبنان تكويناً جديداً يليق بما حبته الطبيعة من خصائص وقابليات تتفق مع مستواه الثقافي وقوته الاشعاعية .

فكان على فخامة اللبناني الاول ومن ولاة الميثاق ومن سار في موكبه ان يخرجوا لبنان من عزلته وان ينسفوا جدران الطوق الاستعماري وان يكشفوا عن وجهه العربي ويحلوه بين اخوانه في المقام الذي اهل له وان يعرفوا العالم الخارجي ان هنالك وجهاً كريماً خصباً منتجاً جدير باحترامه وتقديره اسمه لبنان يخلد ما خلد الدهر والتاريخ .

وفي حقبة قصيرة من الزمن لا يجاوز امدها السنوات الخمس، تمكن هذا المعلم الذي سيظل اسمه حديث الايام ما عاش الارز .

ومن سار على نهجه من تلك الحفنة الطيبة في جعل لبنان راية

خفاقة في كل عاصمة ومدينة من عواصم ومدن العالم المتمدن . ففي كل بلد من البلدان الاجنبية التي تشدنا اليها روابط الود وحسن العلاقة اصبح للبنان بعثات سياسية وقنصلية لدى حكوماتها .

وبعد ان كنا الى ما قبل اعوام خمسة نكرة كما سلفنا لا صدى لوجودنا ولا اثر لشخصيتنا في الحلقة الدولية اضحينا بحمدالله وبفضل هذا العهد ملء الافواه والاسماع .

الدور الذي تلعبه بعثات

لبنان الديبلوماسية في تعزيز شخصية الدولية

يمثل لبنان في العاصمة البريطانية ولدى بلاط سان جيمس بمفوضية ومؤسسة قنصلية يشرف على امرهما وزير مفوض ومندوب فوق العادة وقد كان لفعالية هذه المفوضية اثرها الاول في اظهار الوجود اللبناني في اندية عاصمة اكبر دولة من دول العالم. وتقلب على هذه المفوضية وزيران الاول: الاستاذ كميل بك شمعون وهو اشهر من ان يعرّف وكان لمساعيه اطيب النتائج في تعجيل الجلاء الاجنبي عن لبنان وهو من اخلد اعمال هذا العهد كما ساهم بنسبة خمسين بالمائة في نقل القضية الفلسطينية بالتعاون مع زملائه من ممثلي الدول العربية من الحقل الاقليمي الى البساط الدولي الواسع. عقبه في هذا المنصب الاستاذ فكتور خوري وهو من خيرة الشباب اللبناني ومن اغزرهم ثقافة وخبرة وكفاءة فلم تقتصر جهوده على ما يتناول العلاقات الخاصة بين لبنان والحكومة البريطانية فحسب بل تجاوز هذا المضمار ومضى مع زملائه من الوزراء العرب في معالجة المشكلات القومية العربية المطروحة على البساط الدولي ويرجع اليه بالتآزر وهؤلاء الفضل في حمل منظمة الامم على التريث في تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين بالقوة.

ويمثل لبنان في العاصمة الفرنسية بمفوضية مماثلة يتفرع عنها قنصلية في مرسيليا يشرف على امرهما الاستاذ احمد الداعوق احد رؤساء وزارات لبنان السابقين كان لهمته ونفوذه في الاوساط الفرنسية اثرهما البارز في ابرام اتفاقية الجلاء وفي عقد الاتفاقية النقدية التي صدقت عليها الجمعية الوطنية الفرنسية مؤخراً. ويمثلنا في واشنطن الاستاذ شارل مالك وزيرنا المفوض لدى البيت الابيض وكان يشغل سابقاً مركز استاذ الفلسفة في الجامعة الاميركية في بيروت وحسبه بذلك تعريفاً لمكانته العلمية والثقافية وما برح الاستاذ مالك منذ ان انتدب لهذه المهمة يكرس جهوده لدى البيت الابيض لحمل الرئيس ترومان بالرغم عن التيار الصهيوني الذي يجرف الولايات المتحدة شعباً وحكومة، على تبني وجهة النظر العربية في حل قضية فلسطين.

ونمثل في موسكو وهي العاصمة الرابعة للدول الاربع الكبرى بمفوضية يتولى مركز الوزير المفوض فيها الشيخ خليل تقي الدين الذي كان سابقاً مديراً عاماً لدوائر المجلس النيابي اللبناني وهو يعد في الطليعة بين شعراء لبنان وحملة مشعل الادب في هذا البلد.

وللبنان في اميركا الجنوبية ثلاث مفوضيات تمثلنا لدى حكومات البرازيل والمكسيك والارجنتين والعديد من القنصليات نظراً لوفرة عدد الجاليات اللبنانية في هذا الشق من هذا العالم الجديد. ويضطلع بمهام الوزير المفوض في البرازيل الاستاذ يوسف السودا من مشاهير المحامين اللبنانيين ومن ابرز ساستنا. كما نمثل برتبة وزير مفوض في المكسيك بالاستاذ جوزف ابو خاطر

الذي يعتبر ايضاً من البق محامي لبنان ومن اوسع شبابه خبرة وثقافة وهو يواصل جهوده في هذا البلد الاميركي دفاعاً عن حقوق الجالية اللبنانية وعملا على تعزيز اسم دولته ورفعه عالياً في هذا الدار الاجنبي وكان يتولى تمثيلنا برتبة وزير مفوض في الارجنتين المرحوم الطيب الذكر فقيد الصحافة العربية وشيخها الاستاذ التويني الذي وافته المنية ولم يكن قد قطع الشوط الاول في طريق مهمته .

وقد خلفه في مهمته الاستاذ اديب النحاس مدير عام وزارة الداخلية .

وعدا ذلك فللبنان ايضاً طائفة من الممثلين السياسيين والقناصل في مختلف بلدان اوروبا ونخص منهم بالذكر الاستاذ جميل المكاوي وزيرنا المفوض في سويسرا الذي عرف كيف يدلل على مدى ارتفاع مستوانا الثقافي العالمي في ثلاثة مؤتمرات دولية . مؤتمر الحقوق الجزائية ، المؤتمر الثقافي العالمي ، مؤتمر حرية الانباء والصحافة .

واما في العواصم العربية فمن البداهة ان نكون ممثلين بنخبة من خيرة ساستنا ورجالاتنا وقد قام هذا العهد على اساس الكشف عن وجه لبنان العربي ففي القاهرة نمثل بالشيخ سامي الخوري شقيق فخامة اللبناني الاول ومدير وزارة العدل سابقاً وكان يعد سابقاً من ابرز المدققين القانونيين واصبح يعتبر اليوم من البق الديبلوماسيين وابرعهم واوفرهم الماماً بخفايا سلك العمل السياسي كما انه يمثل لبنان بذات الرتبة في الوقت نفسه لدى

البلاط السودي .

ويقوم بمهمة الاشراف على مفوضية لبنان في بغداد الاستاذ كاظم الصلح الذي افتتح حياته السياسة بتأسيس جريدة النداء التى قضت السياسة الاستعمارية بتعطيلها لسلبيتها بالنسبة الى الانتداب وجرأتها في الدفاع عن حريات هذا البلد . وكان قبل انتدابه لهذا المنصب قد اسس حزبا اطلق عليه حزب النداء القومي الذي يعد من خيرة الهيئات التوجيهية واصدقها في الحقل العربي .

ويمثل لبنان لدى البلاط الهاشمي الاردني برتبة وزير مفوض الاستاذ عبدالله النجار الذي كان له الباع الاول في التمهيد لكل عمل جبار قام به لبنان في سبيل جمع صفوف الرؤساء العرب وتوحيد كلمتهم وازالة ما كان من جفاء بين بعضهم .

هذا هو لبنان الذي كان الى ما قبل سنوات خمس منكمشاً على نفسه ، محاطاً بسياج من فولاذ المستعمر وموضع حذر وريبة اشقائه من العرب . فأصبح اليوم بفضل العهد ووليه « فخامة الشيخ بشاره الخوري » موضع اعجاب واكبار كل عاصمة من عواصم العالم ونقطة الارتكاز في السياسة العربية القومية ولولبها المتحرك الدائم .

فالى هذا العهد ورئيسه المفدى كما اسلفنا يرجع الفضل الاول في استجمال الدول العربية للتدخل العسكري نصرة لعروبة فلسطين وتمزيقاً للمؤامرة الصهيونية الشيوعية . ولم تقف مساهمته في هذا المشروع الانتهازي عند مد المال وغير المال من انواع

المساعدة للذود عن الحق والعدالة ، بـل كان الجيش اللبناني في طليعة الجيوش التي اقتحمت الحدود الفلسطينية في الساعة والثانية التي عينت لهـا .

بطولة الجيش اللبناني

وقد اظهر الجيش اللبناني من البسالة وضروب الشجاعة ما سيقترن بتاريخ انقاذ فلسطين من العدوان الصهيوني طوال ما هي فلسطين حية دولة عربية في ملفات التاريخ .

وحسب هذا الجيش الفني المظفر فخراً انـــه خاض معركة تعتبر من اشد المعارك ولم تـكلـفه الا استشهاد جندي واحد ضد عدو يعتمد في قتاله على احدث انواع الاسلحة الاوتوماتيكية من ثقيلة وخفيفة .

وما زلنا نذكر هذه البطولةالتي اظهرها فصائل جيشنا المفدى في معركة « المالكية » الحصن اليهودي المنيع الذي يعـــد من مفاتيح دفاع العدو عن خطوطه ومواقعه .

وقبـــل الهدنة باربعة وعشرين ساعة ، هذه الهدنة التي فرضها مجلس الامن الدولي في الحادي عشر من حزيران عام ١٩٤٨ على الجيوش العربية ، توغلت القوات اللبنانية قرابة ١٢٠ كيلومتراً في مواقع العدو حتى بلغت طلائعها ابواب مدينة الناصرة . وقـد اصبحت بفضل هذه النتيجة تسيطر على جميـع المنطقة الممتدة من الناقورة وعكا بحراً حتى التلال المشرفة على سهل الحولة .

واذا كان لنا ما نقوله في هـذا الصدد فـلا بد لنا من الاعراب عن شكر لبنان للجنرال شهاب الذي يرجع الفضل لبراعة الخطة الحربية التي وضعها بالتعاون مع اركان حربه تحت اشراف وزير الدفاع الامير مجيد ارسلان في دحر العدو وابعاده عن جهاز لبنان الدفاع وفي وضعه تحت رحمة المدفعية اللبنانية . كما ان الزعيم نور الدين بك الرفاعي قائد الدرك العام استحق بدوره شكر المنصفين من اللبنانيين لهذا النجاح الذي سجله ضباط وافراد الدرك في تأمين المهام التي كان يمارسها الجيش في الحقـل الداخلي واضطرته حملة تأديب الصهيونية للتخلي عنهـا موقتاً والعهد الى قيادة الدرك العامة واركان حربها .